AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00956 9165

JD99-B5704
3-11-99

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

٦٧٦

DT
61
M87x
1925

معتقدات قدماء المصريين وآدابهم

﴿ مجموعة مقالات نشرت بجريدة البلاغ صيف العام الماضي ﴾

١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

﴿ مطبعة البلاغ بشارع الشريفين بمصر ﴾

OCLC
122748302

B12143741
13443446

932
M725

٩٣٢
٣٢٥

15323

صحيفة الاهداء

إلى الذين ذهبوا ولم تزل أرواحهم خالدة — إلى الذين تكفلوا العالم وهو فى مهده — إلى الذين عبدوا للناس طريق الرقي والتقدم — إلى أولئك العظماء أهدى كتابى وإن كان فى الحقيقة من فيض غمامهم وغرس أياديهم وليس لي من أمل إلا أن يتقبلوا هديتي بصدر رحب ولو أنها من أحد خلفائهم المضيعين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لو سألت مصريا عما يعلمه عن قدماء المصريين لشمخ بأنفه الى السماء وكاد أن يطأ بقدميه هام الثريا فخراً وكبرا ولاشار الى الاهرام وأبى الهول وأحالك علي دار العاديات المصرية والاقصر والكرنك وما اليهما من البلدان والقرى المشحونة بآثار قدماء المصريين ومخلفاتهم التي تدل علي عظمتهم ومقدارهم لتستنتج منها مايمكنك أن تستنتج ولتكون لنفسك رأيا خاصا مبنيا علي المشاهدة والاستنتاج ثم أخذ يتعجب من عظمة الاهرام ولطف نحت التماثيل وجمال نقش التوابيت وأخذ يفتخر بهم وبأعمالهم وبأنهم أجداده العظماء !

وحقا كانوا عظماء وحقا كانت أعمالهم مدهشة وحقا تستدعي أعمالهم كل الاعجاب ولكن مالا أعرفه هو أن يفخر مصري بتلك الاعمال .

كان الاولي بنا كلما ذكروا أن نصعد زفرات الحزن والاسي ونسكب دموع الذلة والانكسار لانهم بنوا ودمرنا وشيدوا وبترنا وساروا ببلادهم الي أوج العلا بينما نحن لا نزال في أسفل سافلين .

ذلك أولي بنا وأجـدر لاننا لا نعلم عن قدماء المصريين إلا مانتشدق به وإلا ما نستعمله في فخرنا الاعمي ولاننا نستقي معلوماتنا عنهم من الاجانب وبينما نجد أن الـكتب المصرية التي تبحث عنهم تعـد علي الاصابع إذا بالـكتب الاجنبيـة التي تبحث في هـذا الموضوع لا يمكن أن نحصي لها عدداً مع أن البلاد بلادنا والآثار آثارنا !

فالفخر لايجـدي نفعاً ولا يمنع ضرا بل هو الاداة التي يلجأ اليها العاجز الضعيف حينما تنقصه الحيلة وتفلت من بين يديه الفرصة

فعلينا ألا نتخذ ما نعلمه عن قدماء المصريين أداة لفخرنا بل يجب أن نتخذها دافعا لشعورنا أن يثور ولهممنا أن تهب من رقادها كي نسترجع مجداً غبر ومدنية مضيعة

هـذا وانى أريد ألا يعتقد المطلع علي رسالتي هـذه انها قد أحاطت بمعتقدات قدماء المصريين علما أو فصلت آدابهم تفصيلا بل إن هي إلا قطرة من بحر لايسبر غوره ولا يدرك قراره

فان حصلت علي رضاء المطلعين عليها فذلك من توفيق الله وكرمه وان لم تفز لديهم بحظوة فلي من حسن نيتي وشرف مقصدى أجمل عذر وأعظم شفيع ولـكل امرىء مانوى والله المستعان

القسم الاول

المعتقدات

— ١ —

كلمة عامة

ذكر في الكتاب المقدس (سفر الخروج) أن موسي وهرون عليهما السلام توجها الي فرعون وباسم الاله القادر أمراه أن يسمح لبني اسرائيل بالذهاب الي الصحراء (الخروج من مصر) لاحياء عيدهم . ولكن فرعون اجابهم بقوله « من هو هذا الاله القادر الذي يجب علي أن أطيع أمره وأسمع نصيحته ؟ وما هي سلطته علي حتي أدع بني اسرائيل يخرجون من مصر وفق أمره ؟ أنا أولا لا أعرف ذلك الاله وثانياً لست بمصرح لبني اسرائيل بالذهاب حيث يريدون »

من مثل هذه الاساطير ومن تماثيل المصريين الضخمة المدهشة كان الناس الي عهد قريب يتوهمون أن قدماء المصريين ماهم الا عبدة أصنام حجرية يعبدونها من دون الله الذي لا يعرفون عنه شيئاً ولا يعتقدون بوجوده . وكانت الناس تزعم أيضاً أن قدماء المصريين كانوا لا يعرفون الا السحر ولا يشتغلون الا به .

ولكن كل هذه المزاعم ليست صحيحة بل الحقيقة هي أن قدماءنا كانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً بوجود اله واحد قادر مطلع علي كل أعمالهم وكانوا يعتقدون فوق ذلك أنه مصدر جميع افكارهم وأعمالهم وزيادة علي ذلك كانوا يستفتحون باسمه كل أعمالهم صغيرة كانت أو كبيرة معتقدين أنه يقودهم الي حيث نجاح تلك الاعمال .

ودليلنا علي صحة هذه الاقوال نقوش مقابرهم وما كتب علي أوراق البردي الموجودة في توابيت موتاهم والتي تدلنا أيضاً علي أنهم كانوا يعتقدون في الحياة بعد الموت أي في البعث .

أما كتبهم التي نستخلص من بين سطورها هذه المعتقدات والافكار فكثيرة ولكن أهمها وأغزرها مادة واكثرها وضوحاً هو كتاب الموتى (ترجمة اسم الكتاب حرفياً هي الخروج والصعود بالنهار يعني الروح) الذي يصف رحلة الروح بعد الموت وصفاً وافياً فيبين لك المتاعب التي تلقاها الروح بعد انفصالها عن الجسم ويفسر لك المخاطر التي تستهدف لها كما أنه يشرح لك كيف تتغلب الروح علي تلك المتاعب وهذه المصاعب .

وكان قدماء المصريين ينقشون بعض هذا الكتاب أو كله نقشاً بديعاً علي أوراق البردي ويضعونها مع الميت معتقدين أنه كلما كان الجزء الموضوع من كتاب الموتى مع الميت كبيراً كان ذلك

قائداً للروح ومسهلا لهـا فى رحلتها التي ستقوم بها في أقطار شاسعة مظلمة

فان نجحت الروح فى رحلتها خرجت مع الفجر فى الجـانب الآخر من العالم حيث تركب مع اله الشمس فى زورقه وتلج برفقته حقول السلام

ومع أننا نقول أن المصريين كانوا يعتقدون بوجود اله واحد نرجع فنقول أن أسماء آلهتهم تضيق عنها المجلدات فمـا سبب هذا التناقض يا ترى ؟

سببه راجع الي أن النـاس حينما ارتبكت عقولهم وشغلت أفكارهم وتساءلوا فيما بينهم هل يمكن واحداً أن يدير هـذا الملك الشاسع الواسع بمفرده ؟ أجابهم القسيسون بأن ذلك الاله القـادر ذلك الاله العظيم خلق آلهة أخري لكل غرض إله ولـكن هؤلاء الآلهة لم يكونوا آلهة بمعني الكلمة يدلنـا علي ذلك انهـم كانوا يعتقدون بأن هؤلاء الآلهة يعيشون بمعونة الاله الاعظم . وثانياً أنهم بارادته مخلوقون . وثالثاً أنهم بأمره يعملون . ورابعاً أنهم وفق أغراضه يسيرون . وخامساً أنهم لا يرون هذا الاله أي انهم كانوا مسخرين لعمل شيء مخصوص عليهم أن يعملوه ولا يتعدوا حدوده (وهذا النظام أشبه بنظام الملائكة — من غير تشبيه — فى الدين الاسلامي الشريف)

Thus not great difference in their deep belief.

فعلي زعم القسيسين هذا أصبحت آلهة قدماء المصريين كثيرة العدد مختلفة الغرض شتي الوظائف بحيث يستعصي علي أى انسان — ولو كان مصريا قديما — أن يحيط بأسماء هؤلاء الآلهة وأغراضهم ووظائفهم .

فكان للسلام إله وللموتى إله وللشمس إله وللحب إلهة (مؤنث) وللخير إله وللشر إله الخ وسنأتى علي كثير منهم ووظائفهم وأغراضهم فى الابواب القادمة

ولكي نبرهن علي صحة ماجاء بقولنا هذا من اعتقادهم بوجود خالق واحد نأتى هنا بأنشودة دينية كانت تنشد كل صباح فى جميع معابدهم

لاإله الا الله واحد لاشريك له
الله مفرد صمد صانع جميع الموجودات
الله روح مخبوءة عن أعين الانسان والحيوان
الله إله من الازل فقبل وجود أى شيء كان إلها
هو رب الحياة . أب الكل . إله الابدية
هو الباقي . الدائم . الخالد . الغير متناهي
كان موجوداً من أوقات لانهائية وباق الآن وسيبقى الى الابد
الله مخبوء ولم يوجد الى الآن انسان فى شكله ومنظره

فهو مخبوء عن الناس والآلهة الاخرى(١)
هو لغز لايدرك كنهه وسر ممتنع إدراكه
الله هو الحق وعلي الحق يحيا فهو ملك الحق المقدس
الله هو الحياة والانسان يعيش بمعونته من ساحق العصور

* * *

أما أغرب مافى معتقدات قدماء المصريين فهي أنهم كانوا يزعمون أن الآلهة تزور الارض من وقت لآخر متفقدة أعمال الانسان مشاهدة حسناته وسيئاته . وانهم كانوا يأتون إلي الارض فى صور حيوانات مختلفة

لذلك كانت معظم حيواناتهم مقدسة وكان يحكم بالاعدام علي قاتل احداها عمدا وبغرامات مختلفة علي قاتلها قضاء وقدرا حتي ولو كان المقتول جعرانا أو خنفساء

أما الطيور المقدسة فسواء كان قتلها عن قصد أو عن غير قصد فقاتلها يعدم .

---

(١) كون الاله الاعظم مخبوءا عن الآلهة الاخرى يعزز رأينا فى أن لفظة إله التي كانوا يطلقونها على الآلهة الكثيرة مساوية للفظة ملائكة فى الدين الاسلامى الشريف فكما يقولون إن ازريس وثث إلهان يحاسبان الموتى كما نقول إن منكرا ونكيرا ملكان يسألان الموتى فى قبورهم

وكان كل نوع من الحيوانات المقدسة هـذه يحفظ فى مكان مخصوص وله حراس مخصوصون . وكان غذاء هذه الحيوانات يجمع من تبرعات المصلين لهم أثناء زيارتهم للمعابد .

وكانوا يدفنون تلك الحيوانات بعـد موتها باعتناء واحترام إذ كانوا يحنطونها ويرسلونها الى معبد مخصوص حيث تمكث فى هدوء وسكينة بعد أن لاقت من احترام الناس لها ومحافظتهم عليها أثناء حياتهم مالم يظفر به انسان . ولقد اكتشف أخيراً مدفن فى بوبسطه كانت تدفن فيه القطط .

ولم تكن جميع حيواناتهم مقدسـة بل كان منها ما يعتبرونه مدنسا فالخنزير مثلا يعتبر من أنجس حيواناتهم فاذا لمس طرف رداء أحدهم خنزيراً ذهب من فوره الي النيل حيث يلقى بنفسه فيه وهو بملابسه جملة ليزيل تلك النجاسة .

والدليل على أنهم كانوا يعتبرون معظم الزحافات رمزاً للسوء هو أنهم كانوا يرمزون للعدو الا كبر الذى يحارب الروح بعد الموت بحية كبيرة .

ولمـا كانوا يعتقدون أن الله مسيطر علي جميع شئونهم وأنهم سيحاسبون حساباً عسيراً بعد موتهم وأنهم سيلاقون جزاءهم علي أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر كان المحور الذي تدور حوله أفكارهم وأعمالهم هو الحياة بعد الموت (البعث) .

لذلك كنت تري أحدهم لا يبدأ بعمل إلا ويسأل الله أن يأخذ بيده فيه ولا يستمر في ذلك العمل الا اذا اعتقد أن الله سبحانه وتعالي راض عن ذلك العمل (وكان دليل رضي الله عن اعمالهم هو أنه مراقب ما يعملون) وكانوا يصرفون حياتهم فيما هو شريف وكانت أعمالهم أعمالا طاهرة نقية وكانوا علي خلق عظيم .

وكانوا يعتقدون زيادة علي صعود الروح الي السماء أن جسم الميت سيحيا ثانيـة فى الدنيا الكاملة لذلك كانوا يعتنون اكبر الاعتناء بحفظ أجسام موتاهم سليمة حتي تـكون علي أتم استعداد لمواصلة حياتها بعد رجوع الروح لها ثانية وكانوا يرسلون جثث موتاهم الي رجال أخصائيين فى التحنيط

وكان هؤلاء لا يألون جهداً في حفظ الجسم من الفناء بواسطة التوابل والعقاقير وانك لتعجب بمهارتهم وتـكبر حذقهم حينما تري المومياء في المتحف حافظة لشكلها الاصلى وقد مضت عليها آلاف من السنين

وكانت جثة الملك أو العين (الغني) توضع بعد تحنيطها فى تابوت جميل من الجرانيت منقوش علي جوانبه نقوش رحلة الميت الي السماء (كتاب الموتى) وكانوا يحيطون القبر بتماثيل الآلهة لتحفظ الميت . وكانت جـدران المقبرة تغطي بالـكتابة المقدسة وتدهن بالالوان اللامعة الزاهية .

أما اذا كان الميت فقيراً وليس فى وسع ذويه عمل هـذه الاشياء الثمينة فكان يوضع في تابوت خشبي ترسم عليه عدا الكلمات المقدسة صورة الفقيد (هذا هو النوع المعتاد الذي نراه في المتاحف بكثرة)

ولـكن سواء كان التابوت من الخشب أو الجرانيت أوغيرهما فهذا لا يهمنا كثيراً انما المهم أن الجثة تنتظر بهدوء رجوع الروح من رحلاتها كي تتحد ثانية بالجسم ويتزودان بالطهارة والصـدق والحق ومن ثم يقصدان المملكة العظيمة المسماة بحقول الراحة التامة

— ٢ —

التكوين

منذ أزمان سحيقة ، منذ آلاف لا يحصي عددها من السنين لم تكن وجدت بعد لا أرض ولا سماء ، ولا يابس ولا ماء . بل كان يشغل هذا الفضاء العظيم جسم مائع هو في شكله الي الماء أقرب وفى هذا الجسم كان الخالق الاعظم يعيش .

يعني أن روحه كانت دائما موجودة فى هذا السائل ولكنه لم تكن له هيئة محسوسة ولا صورة ملموسة كما لم يكن بذلك السائل أى حياة أو حركة ولا أى شيء يدل على أنه سيتكون من ذلك السائل البسيط هذا العالم البديع بجبله الشاهق وسهله المنبسط وبحره الزاخر ونبته الاخضر وحيوانه النافع وانسانه الكثير وهذه المظلة السماوية العظيمة ونجمها اللامع وقمرها الساطع .

ففي أحد الايام حدث حادث جلي . حادث أقل ما يقال فيه أنه كان سبب وجود هذا الكون . ذلك الحادث هو أن تلك الروح روح المعبود القادر تحركت وفاهت باسمها ! وبعد أن فاهت بذلك الاسم تحولت الي شكل عظيم رفيع مفرد في بابه لا يمكن لانسان أن يتصوره .

ذلك هو شكل الاله الواحد الذي خلق جميع الآلهة الاخري

وكان السبب فى وجود الرجل والمرأة والانسان والحيوان وبالاجمال كان السبب في وجود كل كائن .

ذلك هواعتقاد قدماء المصريين في كيفية وجودالاله الاعظم ! وكانوا يطلقون على هـذا المعبود اسم خفرع (هذا اللفظ معناه بالهيروغليفية نور وحياة كل الكائنات) وكانوا يعتقدون فوق ذلك أنه يعيش مثقلا بالافكار منفرداً فى وقار وكرامة وجاه .

ولما لم يجد ذلك الخالق لنفسه مكاناً يجلس فيه فـكر في عمل ذلك المكان فبعد انعام النظر واعمال الفكر صمم علي تحليل هذه الـكتلة المائعة الـكبيرة وبعد تحليلها وجدها تحتوى علي ماء ويابس وهكذا تـكونت الارض .

ولما أعيته الحيلة في ادارة ذلك الملك الواسع المترامي الاطراف رأى أن من المستحسن خلق آلهة أخرى تخفف عنه عبء ذلك الحمل وتساعده فى عمله فخلق إلهين عظيمين أحدهما صار منبع النور وصار الآخر غطاء عظيما للارض يتدلي مثل الستار الازرق ذلك الغطاء هو ما نطلق عليه الآن لفظ سماء .

فلما ابتدأ الالهان يعملان رأى إله النور أن لا شيء يستطيع الانسان بواسطته أن يتعرف النور من الظلام فاحضر فى أحد الايام الي خفرع كرة عظيمة من النار . فكان فرح الاله الاعظم بتلك الـكرة لا يقدر واختار له موضعاً يدل علي مقدار سروره بتلك

الـكرة وذلك أنه وضعها فى رأسه فصارت له عيناً !

ومن شدة وهج تلك الـكرة ولمعانها أضاءت الارض با كملها وفوق اضاءتها للارض كانت للاله الاعظم منظاراً ينظر به الي أعمال عباده أثناء رحلته النهارية بالسماء .

وأظنك قد عرفت ماهي هذه الـكرة . تلك هي الشمس بعينها ولـكون هـذه العين ليست مصدر جميع الضوء والحرارة فحسب بل مصدر حياة كل ما علي الارض كما أن كل شيء يحصل علي ظهر الارض لابد أن تـكون تلك العين مطلعة عليه اعتبرها القدماء بعد قليل الاله الاعظم .

وبينما كان رع (إله الشمس) راجعاً من احدى رحلاته النهارية ليقص علي الاله الاعظم أخبار ماراًه وجد أنه خلق عيناً أخرى .

ومع أن تلك العين لم تـكن قوية مثـل العين الاولي إلا أن وجودها كان كافياً لاذكاء نار الحسد والبغض فى قلب رع . فلما رأي أن ذلك المركز الرفيع الذى يشغله وهو منبع جميع الاضواء قد تهدد بالخطر وعلم أن تلك السلطة العظيمة التي انفرد بها زمناً ليس باليسير سوف تقسم بينه وبين آخر امتلا قلبه حسداً وبغضاً لتلك العين وملـكته سورة الغضب نحو الاله الاعظم ففاتحه بذلك واحتد عليه فغضب الاله الاعظم منه وعد ذلك تطاولا علي شخصه الاعظم وتعـديا علي حقوقه اللانهائية وعاقبه علي تطاوله وتعديه

وقحته بان جعـل تلك العين مقياساً للزمن فضلا عن أنها تزود الناس بالضوء حينما يكون رع مختفياً .

وعلي هذا الزعم وحسب ذلك الاعتقاد كان قدماء المصريين يحسبون الزمن بالقمر .

ولمـا عزم خفرع علي خلق مخلوقات تعبده وتحترمه خلق قبلا الآلهة اللازمة لادارة شئون الخلق .

بعد ذلك ابتدأ ذلك الخالق العظيم يبكي ودموعه تنحدر من علي خديه الي الارض فكانت حين تصل اليها تستحيل الي رجال ونساء .

ولم يكتف الاله الاعظم بذلك بل أراد أن يجد عبيده لذة فى الحياة فخلق لهم الاشجار والنباتات والحشائش وبعـدها خلق الطيور والحيوانات والزحافات .

وبعد أن خلق القدر الكافى من حاجيات الانسان وكمالياته ابتدأ ذلك الاله الاعظم يستريح من ذلك العمل الشاق . وهكذا كان يعتقد اسلافنا في خلق الدنيا وتكوينها .

* * *

والآن بعد ان عرفنا كيف تم خلق الدنيا ننتقل الي الآلهة فنقول كان رع يظهر صباح كل يوم فى الافق الشرقي بعد انتصاره

فى حروبه مع قوى الظـلام المتبددة ومن ثم يبدأ رحلته اليومية فى قاربه المسمي « ملايين السنين » .

وفى اثناء هذه الرحلة يطل علي الخلق وينظر اعمالهم الحسنة والسيئة ويمنحهم النور والحرارة منبع كل حياة . اما فى المساء فانه يختفي وراء الجبال الغربية ويهبط الي العالم الاسفل حيث يسير فى ظلماته الـكثيفة ويمخر فى بحاره المرعبة .

فى هذه الاثناء يحاول اعداؤه النيل منه والتغلب عليه ومنعه من المسير وماهي الا ضربة واحدة حتي يخروا علي الارض صرعي كعصف مأ كول

وبعد هذا ينتشل الارواح الهائمة التائهة . ارواح الاولي نجحوا فى المرور من قاعة المحاكمة (قاعة ازريس) فيركبهم فى زورقه وفي الفجر يصعد ثانية الي السماء ثم يبدأ ثانية رحلته اليومية وهكذا .

وكان رع هذا اقوى الآلهة وكانت عبادته منتشرة فى طول البلاد وعرضها ومركز عبادته هليو پوليس ولم يكن له من منافس الا آمن إله طيبة ولـكن بعد قليل وبعـد مشاحنات قامت بين المنتصرين لمذهب رع والمتعصـبين لدين آمن اتفق الـكهان علي جعلهما إلهـاً واحداً وادماج اسميهما في بعضهما البعض فصارا إلها واحداً يسمي « أمنرع » .

ولم يكن ازريس في بادىء الامر إلهـا للموتى بل كان يتردد

علي الارض من وقت الي آخر فى صورة انسان ليبث بين الناس مبادىء السكينة والسلام وليحببهم فى التآلف والاتحاد قائلا لهم ما انتم الا اخوة .

وكان اخوه « ست » او « تيفون » يكرهه كرهاً شديداً فقتله خلسة فهامت امرأته ازيس علي وجهها تبحث عن زوجها وما فتئت جادة في جولاتها حتي وجدته ثم اعادته الي الحياة بما لها من حول وطول وقوة . فلما رأت الآلهة ذلك ورأوا ان ازريس قد ذاق مرارة الموت وقاسي آلامه اختارته ليكون حكماً للموتى .

وقد كان يساعده فى عمله هذا الاله « ثث » بأن يقف بجوار الميزان الذي يوزن فيه قلب الميت ماسكا لوحاً وقلماً من بوص ليدون نتيجة الوزن . ولما له من ذكاء مفرط وعقل ناضج وفكر ثاقب جعلته الآلهة إله الذكاء والحكمة .

ولما كان ست قاتل ازريس اعتبرته الآلهة إله الشر وعدو الانسان المبين كما ان هورس ابن ازريس إله الخير وصديق الانسان الحميم .

وذلك انه لما شب سار الي ست قاتل ابيه والتقى به فى عدة مواقع كانت خاتمتها في الدلتا وفيها فاز هورس علي ست فوزاً مبيناً وثأر لابيه منه .

ولقد استنبط القدماء من فوز هورس علي ست ذلك المبدأ

الخالد ألا وهو فوز الحق ابداً علي الباطل .

ولقـد كان قدماء المصريين يحترمون الخنفساء والجعران ويحافظون عليهما لانهما رمز الاله الاعظم خفرع وكانوا يعتبرون البقرة رمزاً للمعبودة هاتور إلهة الحب كما كانوا يعتبرون الثور رمزاً

﴿ رمز المعبودة هاتور إلهة الحب ﴾

لقـاضي الموتى ازريس اما الصقر فكان رمزاً لهورس والابيس

(طائر ذو ريش ابيض وذيل اسود طويل وله رجلان مثل البجعة) رمزاً لاله الذكاء والحكمة وكاتب الموتى ثث .

ولكن لم تلاق هذه الحيوانات من الناس احتراماً وتبجيلا مثل ما لقى العجل ابيس .

هذا كان يجب ان يكون جلده اسوداً بجبينه غرة بيضاء مثلثة الشكل وشعر ظهره مرتباً علي شكل نسر وبجانبه الايسر علامة بيضاء مثل الهلال وتحت لسانه رمز الجعران المقدس . وكان حينما يوجد ذلك الحيوان تعطل المصالح سواء كانت عمومية او خصوصية وتقام الاعياد والافراح وتولم الولائم في طول البلاد وعرضها .

وحينما يتم فصال ذلك العجل تأخذه الكهان فى تجلة واحترام الي النيل وتضعه في زورق موشي بالذهب الابريز حيث يقاد الي ممفيس ومنها الي معبده الخاص المزين بالحدائق الفخمة المحتوى علي النافورات البديعة والابهاء الفخمة الفاخرة .

وكان يمضي العجل فى ذلك المعبد كل حياته وكانوا يحيون عيد ميلاده كل عام .

اما إذا مات فليس في المملكة كلها من لا يلبس عليه السواد حداداً حتي يوجد عجل آخر .

وكان يحفظ جسمه إذا مات في معبد خاص تحرسه حراس

لا يمكنهم ان يبوحوا بمكان ذلك المعبد . ولقد كشف اخيراً مدفن لتلك العجول في معبد كبير منحوت في الصخر ووجد بكل غرفة من غرفه تابوت عجل . فما كان اشد تمسك اسلافنا بدينهم وما كان اعظم احترامهم لآلهتهم !

— ٣ —

شكل الارض — السماء — الحساب
— الدار الآخرة —

لم يكن قدماء المصريين ليعرفوا الدنيا على تلك الصورة التي نعرفها عليها الآن بل كانوا يعتقدون ان الارض ما هي الا واد ضيق طويل جداً تحيط به جبال شاهقة تبلغ حدها الاعظم من الارتفاع فى الجهة الشمالية .

ولقد احتاروا وتضاربت افكارهم وتشتت عقولهم فى معرفة السماء فكلهم كان يسلم بأنها غطاء يعلو الارض : ولكن من اي المواد صنعت ؟ وكيف عملت ؟ وعلى اي عمد رفعت ؟ ذلك ما حاولوا ان يتعرفوه

فمن قائل ان السماء ما هي الا وجه انسان ولكي يبرهن على صحة قوله يقول اما رايتم ان الشمس والقمر هما عينا ذلك الانسان

فاذا سأله سائل وعلى اي شيء يعتمد ذلك الوجه ؟ قال إن شعره طويل جداً ومتين ايضاً وانه متدلى إلي الارض فعلى ذلك يكون بمثابة عمد له .

ومن قائل بأن السماء غطاء معدنى من الحديد يعتمد على اربعة جبال شاهقة توجد فى اربعة اركان العالم .

ولما كان النيل قوام حياتهم واس معيشتهم وحياة زرعهم — كما لم يزل إلي الآن — كانوا يعتقدون انه ينبع من السماء وان سفينة رع إله الشمس تبحر فيه وانه فوق ذلك يمد قنوات الدار الآخرة بالماء وانه فى اعالي النيل توجد بقعة لا يمكن حياً ان يقترب منها. هذه البقعة تحد بجبلين شاهقين احدهما فى الغرب ويسمي «مانو» والثانى فى الشرق ويسمي «باخو» وان بين هذين الجبلين توجد هوة سحيقة يجري النيل فيها فلا يظهر للاعين هناك ويختفى زورق إله الشمس فى تلك البقعة حينما يمر فيها.

وكان هذا الوادي مهبط ارواح جميع الموتى وكان ينقسم الي اثني عشر قسما اهمها الوادى العميق المسمي «امنتت» وهو واد حالك الظلام، دائمه، نصف دائري تحيط به الصخور الشامخة، مملوء بالمخاوف الكثيرة العدد المتعددة الانواع الكافية لجعل اغلظ انسان يرتعد هلعاً وفرقا. وينبعث من مياهه المحملة بالثري بخار قاتل. ذلك الوادى المخيف كان فى طريق الروح وهي صاعدة الي السماء فكان حقاً علي كل روح ان تجتازه بعد الموت.

ينقسم «التوات» كما قدمنا الي اثنتي عشرة قطيعة كل قطيعة تقابل ساعة من ساعات الليل وكان باول كل قطيعة الحواجز المنيعة والزحافات المرعبة العظيمة القد المدهشة الحجم التي إما ان تكون على الصخور التى على شاطيء النهر مستعدة لالتهام الروح الغير

مزودة بالاعمال الطيبة وإما ان تكون مدلاة من اعلا الصخور لتقتنص الروح الغير الحريصة وإما ان توقد النار عند آخر النهر لتحرق المارين .

فمن هذا نري ان الروح لا تقدر على التغلب علي تلك الاخطار الداهمة والمصاعب المتعددة بمفردها وبدون مساعدة إلهية .

لذلك تجتمع ارواح الموتى كل ليلة عند مبدأ « امنتت » وعند مرور زورق إله الشمس رع الي الجانب الآخر من العالم تتزاحم كي تظفر بركوبه .

فمن تنجح فاولئك هم المفلحون الذين عملوا صالحاً فى دنياهم ومن لم تنجح فاولئك هم الخاسرون الذين لم يوفقهم الله لعمل الخير فى الدنيا والذين إما ان تمزقهم الزحافات الهائلة وإما ان يسقطوا فى المياه القذرة السوداء حيث يكونوا طعاماً للتماسيح

ولعلك تتوهم ان من ساعدتهم اعمالهم وجدودهم فى ركوب زورق « رع » المسمي بزورق ملايين السنين قد اصبحوا فى حرز مكين ولكن ذلك لايخليهم جملة من المشغولية . اولئك عليهم ان يحاربوا الاعادى المزدحمة بكثرة فى النهر وعلي جوانبه المستعدة والباذلة جهدها لقلب زورق رع راسا علي عقب ولكن انى لها ذلك ورع قوى جليد ذو بأس شديد . فلا تزال الاعادى تحاول

التغلب علي رع طول الخمسة لاجزاء الاولي فما هي إلا انشودة مقدسة حتي يبوءوا بخزى مبين .

اما الخطر الذى لاسبيل الي رده الا بالاعمال الطيبة الصرفة ففى وسط الليل . . . . فى الجزء الساءس . . . فى قاعة المحاكمة . . . قاعة ازريس قاضي الموتى .

هناك لا يمكن للروح ان تتزود الا بحسناتها ولا يمكن ان يشفع فيها مالها او جاهها حتي رع نفسه ليست له أية سلطة علي تلك القاعة وليس لازريس ان يغيره أى التفات ولا ان يسمع شفاعته او يعمل بها

هنا تقف الروح بمفردها ليس لها من نصير إلا ما قدمت من الاعمال الطيبة بالدنيا فان كانت مزودة بالفضيلة فازت وان كانت مزودة بغيرها خابت .

وفى آخر هذه القاعة يجلس قاضي الموتى المهاب ازريس علي عرش موشي بالذهب ذى تسع درجات يمسك صولجانا ويلبس على رأسه تاج القطرين (الوجه البحرى والوجه القبلى) وبجانبه الايمن تقف زوجته الجميلة ازيس وبالايسر تقف أخته نفتيس ويجلس امامه انوبيس راكعاً يراقب الميزان الذى يوزن فيه قلب الميت . اما ثث فانه يقف ماسكا قلماً ولوحا ليدون نتيجة الميزان وحوالي القاعة يوجد اثنان واربعون إلها جلوسا علي عروش ذهبية عاجية .

ووراء الميزان مباشرة بجوار عرش ازريس توجد هوة سحيقة لاقرار لها يقف خلفها وحش هائل مكشراً عن انيابه ومستعداً لالتهام كل مايرمي له .

* * *

تدخل الروح القاعة تقدم رجلا وتؤخر أخري خوفا وهلعا تحاول التملص من تلك المحاكمة ولامناص وترجو المعونة ولا معين لها إلا ماقدمت يداها فى الدار الاولى .

تدخل الروح القاعة فيبدأ الاثنان والاربعون إلها فى سؤالها كل يسأل سؤالها فاذا لم تجب الروح علي تلك الاسئلة اجوبة شافية وافية ترضي الآلهة فالى الهوة السحيقة .

يسألها الاول قائلا هل لم تجرم فى دنياك أو تسرق ؟

والثاني هل لم تكذب مطلقاً علي جارك ولم تغتبه ؟

والثالث هل لم تقتل اخا لك ؟

والرابع هل اكرمت الآلهة وعملت علي احترامهم وشكرهم وتقديم الصلوات لهم ؟

والخامس هل كنت تحب لاخيك كما تحب لنفسك ؟ وعلي هذا المنوال .

وبعد ان تجيب الروح على هذه الاسئلة بما يرضي الآلهة يتقدم هورس ابن ازريس الي الروح ويمسكها ثم يقدمها الي ابيه قاضي

الموتى فيضع قلب الميت فى كفة ميزان ويضع فى الكفة الاخرى ريشة طير خفيفة (هي رمز الصدق) فتقف الروح مرتعدة تراقب نتيجة الميزان يجمد الدم فى عروقها حينما ترى تلك الهوة السحيقة وذلك الوحش الكاسر

فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فالي الهاوية حيث يمزقه ذلك الوحش الهائل .

وبعد الخروج بسلام من تلك القاعة تبتدىء الارواح فى ركوب زورق رع ثانية ومن ثم تبتدىء المصاعب والعقبات تقل عما قبل لان الروح قد زودت بطهارتها الشخصية ويمكنها ان تتغلب علي اعدائها .

ولكن فى القسم الثاني عشر تقابل مركب رع ثعباناً هائل الحجم مدهش الطول يملأ مجرى النهر كله فلا يمكن للزورق ان يبحر إلا اذا مر بداخل الثعبان !

واخيراً ينفتح الباب الاخير فجأة على مصراعيه وتعلو اصوات الآلهة بأناشيد الترحيب وينشر إله الشمس اشعته الذهبية على جميع الخلق وبعد ذلك تدخل الارواح حقول الراحة التامة فرحة مستبشرة يهنيء بعضها بعضاً

والآن بعدان علمنا كيف تصعد الروح بعد الموت الي السماء ننتقل الى كيفية معيشة الآلهة والموتي الذين صعدت ارواحهم الي السماء .

تعيش الآلهة فى السماء العليـا وتجلس على العروش الفخمة المزخرفة برؤوس الاسد واقدام العجول رموز القوة والعظمة كل يحيط به اتباعه وخدامه الخصوصيون وكلهم محيط بالاله الاعظم المحـاط بنواميسه الخاصة وخدامه المستعدين لتأدية اية خدمة حال ايماء إلههم العظيم او اشارته .

اما الموتي الذين صعدت ارواحهم الي السماء بعد ان لاقت جسام المصاعب وكبار الاهوال فانهم لا يعيشون مع الآلهة بل يعيشون فى ارض تبعد عن الآلهة بعدها عن الارض اى فى ارض تتوسط سماء الآلهة وارض الاحياء وكانوا يطلقون على تلك الارض الاسم (آيلو) .

ولم تكن الارض كالجنة التي نمني انفسنا بها ولم تكن كما كانت تتوهمها الامم الاخرى المعاصرة لقدماء المصريين من انها ارض ذات قصور شاهقة مرصعة بالجواهر ومحلاة بالذهب وذات طرقات ذهبية مرشقة بالدرر الغوالي التي لا تحصي ولا تستقصي بل كانوا يعتقدون ان تلك الحياة ماهي الا جزء متمم للحياة الارضية . ولكنها كانت تمتاز عنها بذلك الفارق العظيم ألا وهو انها بدون متاعب ولا مصاعب .

فتكون هـذه الجنة اراض خصبة جداً تتخللها القنوات غير المتناهية المستمدة من النيل المقدس نفسه وهذه الاراضي ينبت بها

القمح الابيض والشعير الاحمر بغزارة تفوق حد كل تصور ويقصر عنها اى ادراك وينبت بها من الفواكه الكرم والتين والجميز الذي ينشر ظله الوارف على ساكن الجنان اني شاء .

ولم تكن تلك الحياة حياة خمول وكسل بل كانت حياة كد وعمل فعلى ساكن الجنان ان يحرث الارض ويبذرها ويتعهد نباتها بالعناية ويحصد محصولها كما كان يفعل على الارض تماما . ولكن البون الشاسع بين الحياتين هو ان هذا العمل اسهل بكثير من عمل الارض وان العامل حر من القيود التي تقيده غالباً على ظهر الارض فهو مثلا لا يعمل حسابا لفيضان النيل واغراق الاراضي الامر الذى يجعله بين الحياة والموت ولا يعمل ايضا حساب التحاريق التي تجعل زرعه فى خطر من حرارة الشمس المحرقة .

فكل هذه المتاعب لا يعمل لها حسابا ولا يقيم لها وزنا فى الدار الآخرة فكل شيء تحوطه الالهة بالعناية وتمنع ضرره .

وان اعتقاد قدماء المصريين بان الحياة الاخرى ما هي الا حياة كد ونصب ليدلنا دلالة واضحة صريحة على ما كانت تكنه صدورهم وتحويه افئدتهم من حب العمل ونبذ البطالة والكسل .

— ٤ —

أزريس يصير ملكا علي مصر

تبليغ الرسالة

لم تكن طيبة قد بلغت اوج عظمتها حينما وقعت هذه الحوادث بل كانت لم تزل فى مهدها . ولم يكن الناس قد عرفوا الآلهة بعد وانما كانوا يعبدون النيل والشمس والتماثيل الحجرية والخشبية . ولقد شيدوا لتلك الآلهة المزيفة معبداً اصبح بعد زمن مركز عبادة شريفة عظيمة .

وكان ذلك المعبد فى وسط مفازة من الشجر ذي الظل الوارف ينفجر بالقرب من مدخله نبع ماء لجيني ولذيذ جداً حتي ان الناس كانت تعتقد انه مبارك من الآلهة التي يعبدونها .

وبينما كان احد السقائين يمشي متعباً بجوار ذلك النبع فى يوم قيظ شديد خاطبه زميل له قائلا لم تشتغل فى مثل هذه الساعة ؟ ألا تراني ذاهبا لاستريح ؟ فأجابه الاول بمرارة ولم اشتغل علي الاطلاق ؟ فقال الثاني حقاً انه لمن الواجب علينا ان نشتغل وإلا فكيف نعيش ولكن اليوم يختلف كل الاختلاف عن الايام السالفة فأنت ترى ان حرارة اليوم محرقة فعلى ذلك لا يلام الانسان اذا استراح الآن . قال ذلك ولما لم يجبه الآخر سار فى طريقه قائلا

بظهر انك قد جننت فأجابه ليس كذلك ايها العاقل انما من الذي يحضر لوالدي المريض حاجياته ؟ فأجاب حسناً ولكني سأنتظر حتي المساء حينما يكون الجو الطف وانصرف لحاله .

فنظر باميليس الى صديقه متبرماً من القضاء الذى جعل له هذا الحظ السيء ولكنه وقد افتكر تلك البطون الجائعة التي تنتظره ملأ سقاءه من النبع ولم يكد يهم بالمسير حتي دوي صوت ينادى باسمه فالتفت يمنة ويسرة فلم ير شيئاً فتابع المسير ولكن الصوت ناداه مرتين فلم يبق لديه شك فى ان هذا حقيقة لا وهم فحملق نحو سلم المعبد وسقط السقاء من على ظهره المحدب الى الارض حيث انسكب ماؤه فنادى الصوت لا تخف لا تخف بل اذهب فى المدينة وبشر الناس بمولد ازريس إله الارض وبعد ذلك بلغ الرسالة فى طول البلاد وعرضها .

خيم سكون رهيب انسي باميليس سقاءه وجعله يجرى باقصي سرعته الى كوخه فلما حكي حكايته قالت له زوجته لقد اثرت الحرارة على عقلك اذهب واحضر سقاءك قبل ان يسرقه احد

ولكن والده العجوز المريض قال له انه ياولدى صوت مقدس اصدع بما تؤمر اما انا فان فرحي لا يقدر لهذه الانباء بارك الله فيك يابني ثم التفت نحو جدار الكوخ واسلم الروح . اما باميليس فانه ذهب من فوره حيث بلغ الرسالة فى طول البلاد وعرضها .

هبوط ازريس وزوجته ازيس الي الارض

فى مساء احد ايام الصيف وبينما كانت الشمس معلقة فوق التلال ومحاطة بهالة ارجوانية قرمزية وقف رجل بجوار شجرة جميز بالقرب من المعبد الموجود بطيبة وبجانب ذلك الرجل الطويل جداً المتناسب الاعضاء امرأة تنكسف الشمس من طلعتها التي تزري بكل جمال آخر .

وعند ما طوحت ذكاء رأسها وراء التلال واصبح لون السماء ارجوانياً قاتما نظرت المرأة الى زوجها ثم الي الشمس وهي تغيب ورفعت هي وزوجها ايديهما باحترام وناديا باسم رع وركعا الى الارض ثلاثاً وانشدا نشيد إله الشمس ثم بسط الرجل رداءه على قطعة حجر ملساء حيث جلس وزوجته ثم اخذ من معطفه قصبة واخذ ينفخ فيها فكانت تخرج انغاماً شجية تأخذ بمجامع القلوب فبينما تكون خفيفة وبطيئة مثل حفيف اوراق الاشجار داعبها النسيم اذا بها عالية وسريعة كهبوب العاصفة الهوجاء تقتلع الاشجار من جذورها .

وبعد ان فرغ من موسيقاه تقدم نحوهما رجل عجوز مدثر بعباءة بيضاء وممنطق بحزام من الذهب وقال « عما مساء » قال ذلك والخوف والاندهاش مرتسمان على وجهه فاجابا « عم مساء ايها الاب

هل يمكنك ان تخبرنا عن ملجأ يمكننا ان نأوى اليه . نحن مسافران ونريد ان نمكث هنا للراحة زمناً » .

فوقف العجوز لا يحير جواباً بضع دقائق واخيراً سجد على الارض وقبل حذاء الرجل فحذاء المرأة ثم رفع رأسه قائلا ان تلك الموسيقى لا يمكن الا ان تكون مقدسة وان مبدعها يجب ان يوهب احسن مكان فى المدينة . انا قسيس هذا المعبد ولقد عرفت كثيراً من اسرار السماء بواسطة التنجيم ولقد علمت بهبوطكما الي الارض ولكن لم اكن لاحلم بأني سأكون اول من يقابلكما . فقالا كنت أول من قابلتنا لانك مخلص فى اعمالك صادق في أقوالك . فقال هل يتفضل مولاي ومولاتي بقبول ضيافتى فقالا نشكرك ونقبل ضيافتك ولكننا نأمرك ألا تخبر أياكان عما تعرفه عنا

قدرة أزريس وأزيس

كان أزريس وأزيس يخرجان يومياً الى طيبة ولم يكن بها من المباني الحجرية الا قصر الملك وقصور بعض الاشراف أما الجزء الباقي من المدينة فلم يكن سوي مساكن من الخشب والبوص أو من الآجر .

وكانت الناس تنظر اليهما باندهاش أثناء مرورهما لانهم لم ينظروا من قبل مثل تلك العظمة والوجاهة والظرف والجمال حتي أن ملكهم وملكتهم ليبدوان ضئيلين أمامهما . وسرعان ما شعر

الناس بانهما ليسا من البشر وعلى ذلك أبدوا لهما فائق الاحترام.

ولقد كانا يتغلغلان فى المدينة ويختلطان بسكانها ويساعدانهم فى أعمالهم ويلطفان من همومهم باحاديثهم المسلية ونصائحهم الغالية ومن الغريب أنهما كانا يوجدان متي تكون الحاجة اليهما.

ولم تضع إزيس يدها على جبين محموم الا برىء وما غنت لطفل شاك الا سكت وماتعهدت طفلا مريضاً بالعناية الا وارتد سليما.

ولقد علم أزريس الناس كيف يحرثون وعلمهم حيلا يرفعون بواسطتها المياه من النهر لري الاراضي بدلا من حملها على ظهورهم وجعلهم أيضاً يعلمون كيف تنتج الارض محصولا أكبر وكان يجلس فى المساء محاطا بجمهرة من الناس يسمعهم من موسيقته العذبة ما يذهب بألبابهم ولقد علمهم بالتدريج كيف يمكنهم عمل مثل تلك الموسيقى السحرية.

ولما وصل صيته الى الملك احضره وقال له

— من أنت ؟ ومن أين جئت

— أنا رحالة وقد سمعت كثيراً عن مصر وأخذني الشوق اليها فجئت لزيارتها وقد أتيت من أرض آيلو وسأمكث هنا قليلا ومن ثم ارجع قافلا لبلادى.

— وأين تلك الارض آيلو ؟ لقد وطئت جيوشي بأقدامها شرقي الارض وغربيها ولكني لم أسمع الى الآن بذلك الاسم.

— انها لتوجد فى الغرب الاقصي حيث لا يمكنك أن تصل اليها

— اذا كنت أنت قد وفقت للمجيء منها فكيف لا يمكنني أنا أن أسافر اليها . أرشدني الى طريقها وسوف ترى كيف يمكنني أن أبلغها .

— لا يمكنك اذ لا يمكن حياً أن يبلغها .

فقال الملك لقد سمعت كثيراً عن حذقك ومكرك وأود أن تعلم حاشيتي وسحرتي شيئاً منها . فأجاب حباً وكرامة ولكن لى شرط هو أني لا يمكنني أن أتفرغ كلية لذلك العمل بل يجب على أن أقوم بواجبي نحو الفقراء كما كنت .

رضي الملك بذلك وأصبح أزريس معلماً لحاشية الملك ولشد ما رجاه الملك أن يقيم فى القصر الملكي فأبي قائلا . أنه واجد كل الراحة فى منزل القسيس وانه لا يترك أول انسان صاحبه وأول منزل نزل فيه .

ولقد كان يحدث الناس عن ذلك المعبد والتماثيل التي يعبدونها قائلا لهم : ما فائدة تلك التماثيل ؟ هل تهبكم الحياة ؟ هل تساعدكم فى أعمالكم ؟

فلما يسكتهم بتلك الاسئلة يقول لهم بل هو الله الذى خلقكم وما توعدون فالله هو الذى خلقكم والذى يعينكم ويساعدكم فى أعمالكم والذى ييسر لكم أرزاقكم والذى يحميكم من الشرور

والذى يمدكم بما تحتاجون وأن تلك الشمس الذهبية والنور ما هي الا من مخلوقات ذلك المبدع وأنها لدليل على قوته وعظمته وأن النيل الذى يروى أرضكم ويحيي مواتها لمن عند ذلك الاله مرسله من السماء وانه اذا كان الانسان شريفاً وتناسي مصلحة نفسه فى سبيل غيره وعبد الله باخلاص يبلغ مكانة عظيمة عند الله يجازيه عليها

وما زال بهم كذلك يسألهم فيعجزهم ويحدثهم فيقنعهم حتي دخل فى قلوبهم شيء من الاعتقاد فى الله .

ولما كانت أعمال أزريس مدهشة ومعجزة كان الناس فى شك من أن أزريس نفسه هو الاله الاعظم وانه يتكلم عن نفسه .

وحينما كانت حاشية الملك مجتمعة فى أحد الايام رأى أزريس شاباً واقفاً فى عزلة تعلو وجهه أمارات الحزن والكآبة وكان ذلك الشاب مقاتلا محبوبا من أزريس لانه كان شجاعا صريحاً كريم الاخلاق

فتقدم منه أزريس وقال

— ما الخبر يا حوتب ؟ لم أنت مهموم ومنعزل ؟

— ليس لاحد أن يتكلم معى ألا تعلم أن الملك سوف يعاقبك على تجاسرك ومخاطبتي ؟

— وما الذى ارتكبته أنت ؟

— هو أني لم أتملق الكبراء ولم أجنح الى الجبن حينما كانوا يأتون منكراً وعلي ذلك أصبح لي كثير من الاعداء الذين وشوا

بي الى الملك وأتهموني بالتآمر علي حياته

ـ إذن هناك من يكره شجاعتك وصراحتك

وفى هـذه اللحظة دخل الملك وارتقى عرشه وقال الى بحوتب

ـ هأنذا . ثم ركع

ـ لقد وصلتنا معلومات عن انك تآمرت ضد العرش أيمكنك أن تبرىء نفسك ؟

ـ أرجو من مولاى أن يقرأ علي ورقة الاتهام . فعبس الملك ودهش من جرأة حوتب وأمر حاجبه بقراءة الورقة فقرأها

« حوتب الضابط بالجيش الملكي متهم بالتآمر ضد الملك وأسرته ومتهم بتحريض الآخرين علي مساعدته فى عمله وقد استعمل وظيفته فى بذر بذور الكراهة لجلالة الملك فى جيشه كي يحملهم على القيام بعمله الشنيع »

ـ وأين الشهود ياصاحب الجلالة ؟ ! أجلالتكم الشاهد ؟

فغضب الملك من قحته وتطاوله وقال هذا لا يهم قد سمعت التهمة فدافع

ـ كل ذلك غير صحيح وانما هي وشاية دنيئة من بعض الاعداء وان جلالتكم لتعرفون مقدار اخلاصي ونزاهتي وأنا تارك الحكم لعدالة جلالة الملك وشرفه

ـ الجريمة ثابتة وقصاصها القتل .

فنظر حوتب نظرة استغاثة نحو الحاشية فلم ينبس أحدهم ببنت شفة ولكن أزريس تقدم نحو الملك وقال «أهكذا تجازون المخلصين ؟ وهكذا تقودون خدامكم الاوفياء للموت؟» فشهق الحاضرون شهقة العجب لتلك الجرأة النادرة وقال الملك بعد ان أفاق من دهشته لقد خرجت عن حدك قف جانباً ولا تتطفل وتتطاول وإلا ساءت عاقبتك فلم يتغير هدوء أزريس وقال أطلب منك الافراج عن ذلك البرىء فصاح الملك مزبدا أتجرؤ على مخاطبتي بتلك الالفاظ . خذوا ذلك المعتوه من أمامي والا قتلته فقال أزريس وهو رابط الجأش ثابت الجنان لن أتحرك من مكاني حتي تخلى سبيل حوتب .

فتقدم الملك بحربته يريد طعن أزريس فلم يتحرك هذا بل دوى صوته فى القاعة قائلا مكانك فسقط الملك على الارض واندهشت الحاشية أيما اندهاش وعلم الناس أن أزريس إله .

وبعد أن أفاق الملك من غيبوبته أخذ مكانه فقال أزريس « اذا كنت تقدمت خطوة واحدة زيادة عن ذلك لكنت أنت الآن فى عالم الاموات . اعلم أن لى قوة يمكنها أن تبيدك وكل من حولك والآن يجب عليك أن تطلق سراح المتهم البرىء وأن تعاقب كل من أتهمه ظلماً وعدوانا . لاتغضبني مرة ثانية . تبصر وتذكر » واختفى أزريس عن الاعين .

مرض الملك أثر هذه الحادثة ومات بدون وارث فاجتمعت

الاشراف لاختيار الملك وقرروا بالاجماع اعطاء التاج لازريس فرفضه فأصروا ولم يولوا غيره .

فلما رأى أنهم سوف لايختارون غيره وأنهم سوف يكونون كالغنم بلا راع يدير شئونهم ويحكم أمرهم قبل توسلاتهم وارتقى عرش مصر .

— ٥ —

الحق والباطل

هذه القصة رمز لا خرافة

هبوط ست إله الشر

بعد أن هبط أزريس إله الارض اليها وتولى حكم مصر هو وزوجته إزيس ساد السلام وأستتب الامن وعمت السكينة كل البلاد وزادت مصر فى مستعمراتها وأخذ أزريس يحكم الناس باللين واللطف ويعدل بينهم ويعلمهم العلوم والفنون التي كانوا فى حاجة اليها

وفى أحد الايام أتي الى قصر الملك رجل بشع المنظر هائل الجثة هو فى شكله الى الحيوان أقرب معه لفيف من الرجال المسلحين وسأل عما اذا كان هذا قصر أزريس وطلب مقابلته قائلا انه شقيقه ست (أو تيفون) .

فاندهش الحراس وتساءلت هل يمكن أن يكون هذا الوحش شقيق ذلك الملاك ؟ وطلبوا منه الابتعاد عنهم فهددهم بخلع بوابة القصر وهم بالعمل فأبلغوا أمره الى الملك الذى سمح له بالدخول ورحب به وانزله فى قصره .

ومن ذلك الحين ابتدأت راحة الناس وسكينتهم تفارقهم حالا محلها الشقاق والتنابذ فحينما كان ست يسافر من مصر يسودها الوئام

ويعمها الرخاء وحينما يعود ثانية تنتشر الفوضي و يشتد البلاء .

وبينما كان أزريس جالسا فى يوم من الايام دخل عليه ست متأبطاً قطعة من القماش لم تر العين مثلها وأهداها اليه قائلا أنه سيعملها له رداء وطلب منه الوقوف كي يأخذ المقاس فقاس الطول من رأس أزريس الى الارض فقال أزريس أظن أن الرداء سوف لا يغطي رأسي أيضاً فادعي انه أخطأ وأخذ المقاس الصحيح وجمع أتباعه وأمرهم بالاستعداد للرحيل .

وفى اليوم التالى ترك ست القصر وسار نحو الجنوب حتي وصل الى كوخ صغير على شاطيء مستنقع فأمر أتباعه بالانتظار وتقدم هو وحده نحو الكوخ ومعه قطعة القماش ولم يكن كلامه دائراً على عمل رداء بل على شيء آخر اذ ما علاقة « الخشب وابداع حفره وتذهيب الغطاء » بعمل رداء . وأخيراً خرج من الكوخ ولم تزل معه قطعة القماش . وبعد مسير يومين وصل الى كوخ آخر حيث ترك قطعة القماش .

وبعد ١٧ يوماً بلغ عاصمة أتيوبيا حيث قابل ملكتها فسألته هل نجحت فى قتل أزريس ؟ فأجابها بعض النجاح فأخبرته بانها قد عيل صبرها .

— لقد رسمت الخطة يا عزيزتي آزو وهي تتوقف على ابعاد أزريس عن عيني زوجته اليقظة . ومن ثم نستعمل القوة . سأرحل

الى مصر باكر وسأعود لك من هذه الرحلة يا عزيزتي منتصراً .

سار ست قاصداً مصر وأمر بأن تتبعه حملة كبيرة بعد أيام قلائل ولما وصل الى الكوخ الذى ترك به قطعة القماش نادى على ساكنه وأخذ منه الرداء ولما وصل الى الكوخ الثاني تقدم وحده ثم خرج حاملا تابوتا ملفوفاً بورق البردى وأمر أتباعه بان يضعوه فى زورق وأن يتمموا رحلتهم على النيل .

فلما وصلو الى الدرج الذى على الشاطيء والموصل للجناح الخاص الذى يسكن به ست حملوا التابوت ووضعوه فى احدى الحجر وذلك بدون علم أزريس ثم دخل ست على أخيه مقدماً له الرداء البديع الذى أعجب به الملك والذى كساه عظمة ووجاهة فوق عظمته ووجاهته فسأل أخاه عما اذا كان يريد شيئاً رداً لهذه الهدية فأجاب انه لا يريد سوى تشريفه بحضور وليمة يقيمها ست فى المساء فى جناحه الخاص فوعده أزريس بذلك تلطفاً وتعطفاً مع أنه كان يكره حفلات أخيه كرهاً شديداً لما كان فيهامن كثرة مجون السكارى وهذرهم .

أخبر أزريس زوجته بذلك فناشدته عدم الذهاب وبكت ولكنه كان قد أعطي كلمته لأخيه فقال لها لا تحزني سأرجع قبل منتصف الليل ويجب عليك أن تتذكرى أن ست فى قصرى فلا يجرؤ على مسي بأذى .

ولكن لم يزر الكرى جفن ازيس تلك الليلة بل لازمها الارق وكانت تسمع أصوات وضحكات من بالوليمة . أما الوليمة فقد حوت من الاصناف أشهاها ومن الالوان أحلاها ومن الاشكال أندرها وأغلاها .

وبعد أن تمت الوليمة وشرب من بالقاعة نخب الملك قال تيفون «ست» لا يمكن أحدا أن ينكر على صناع مصر مهارتهم ولا أن يتجاهل حذقهم ولكني رأيت فى رحلتي الماضية صندوقا بديع الصنع لطيف الشكل مفردا فى بابه لا يمكن أى صانع أن يبدع توأمه وأردف هذا القول بقوله سأريكه الآن أيها الملك وأمر خدمه باحضاره .

فلما كشف ست ورق البردى عن الصندوق اندهش الحاضرون وامتلأت الصالة بضجيجهم ولغطهم حتي ان أزريس نفسه صرح بأنه لا يعرف أى صانع يمكنه أن يقلد هذا الصندوق

فصاح تيفون منتصرا ومع ماعليه الصندوق من الجمال وما يساويه من المال فاني أهبه لمن يساويه طولا وعرضا .

تزاحم الموجودون «الخدم والاسياد» ليجربوا حظهم ولكنه لم يوافق أى واحد منهم فخاطب تيفون الملك مداعباً ألا تمتحن جدك أيها الملك فتقدم الملك مبتسما نحو التابوت فكان كأنه قد صنع لاجله .

وما رقد أزريس فى التابوت حتي لمعت عينا تيفون من شدة الفرح ووضع الغطاء على التابوت وأحكم اقفاله وأمر خدمه بالقائه فى النهر وبالاسراع لمقابلة الجيش الآتي من أتيوبيا على الحدود ثم صاح من شدة الفرح « مصر لي » ثم أبحر هو وأتباعه .

خيم سكون رهيب وهدأت الاصوات فقالت أزيس سوف يأتي أزريس ولما لم يأت نظرت من النافذة المطلة على النهر فوجدت تيفون يجذف بسرعة مدهشة والمركب تمخر عباب النهر كانطلاق السهم من القوس فقالت لقد تمت الوليمة وانتظرت عبثاً حضور زوجها إذ أن أزريس إله الارض وملك مصر قد ذهب ضحية حقد أخوى

* * *

تولت إزيس ملك مصر وجرت على سنة زوجها فى حكمها وبعد عشرة أيام طارت قلوب الناس فرقا من رؤية جيش جرار معسكراً أمام طيبة . تقدم رسول ذلك الجيش نحو سور المدينة طالباً مقابلة الملكة فرفض طلبه فقال لرئيس الحراس بلغ الملكة ما يأتى.

« ست ملك مصر يرسل تحياته القلبية واحتراماته الفائقة لاخته ازيس ويسألها رأيها هل ترضي به بعلا ؟ ! فاذا رضيت شاطرته الملك وإلا فلن يترك حجراً على حجر ولن يدع أياً كان حياً »

فقالت ازيس يالله ! أأتزوج قاتل زوجي ؟ ! . . . ياللعار !!.

ولقد كانت حاميـة المدينة قليلة جدا وغير كافية للدفاع عن المدينة لان معظم الجيش المصرى كان منهمكا فى فتح بلاد الشمال فسقطت المدينة بعد ستة أيام وأرسل تيفون الي ازيس نفس الطلب الاول فرفضت رفضا باتا فحاصر القصر وابتدأت الجنـد تتسلق أسواره فلما علمت ازيس بأن ست سوف يدخل القصر ويأسرها ذهبت الي مخدعها وابتدأت تنشد أناشيد مختلفة مقدسة . وعنـد ما دخل ست الحجرة فى طلب ازيس لم يجـدها بل وجـد طائرا صغيراً على السرير طار من النافذة حالما وطئت قدماه أرض الغرفة .

* * *

ابتدأت أزيس تبحث عن زوجها وهي فى هيئة طائر وعندما بلغت الدلتا احتارت أى الفرعين تتبع ولكنها سألت طفلا صغيراً فدلها على الفرع الذى سار به التابوت وعند ما وصلت الى مصب النيل سألت إله الموسيقى (كان يسمي بان) فقال لها ان التابوت ظل طافياً على وجه المـاء حتي مدينة بيبلوس حيث عاقت سيره فروع شجيرة صغيرة وهذه الشجيرة نمت بسرعة عظيمة وأصبح التابوت الآن بداخل جذعها وبينما كان الملك ملـكندر يصطاد رأى تلك الشجرة الفريدة فأعجبه شكلها فأمر بقطعها وهي الآن بقصر الملك بالصالة وموضوعة هناك كأحد الاعمدة . وأخيراً قال لازيس انظرى مبلغ ما بلغه شكلي من القبح فلست بالانسان

ولست بالحيوان فأنا أتضرع اليك أن تهبيني جمالا فقالت لك ما طلبت .

* * *

تفيأت إزيس ظلال المغارة التي أمام قصر الملك ملكندر وهي حزينة كئيبة يحاول كل من مر عليها عبثاً أن يقف على سرها أو أن يستخرج مكنونات صدرها ولما رأتها وصيفة الملكة أقبلت نحوها وسألتها عن اسمها وسبب حزنها فأجابتها بأنها تبحث عن إله الارض وأن اسمها ممرضة الخلق فحملقت فى وجهها وقالت . وهل يمكنك أن تشفي طفلا عليلا ؟ فأجابت متي أشاء . وفى أثناء تلك المحادثة جدلت إزيس شعر الوصيفة فأصبح ذا رائحة عطرية جميلة .

فلما دخلت الوصيفة على الملكة أنبتها هذه على غيابها وسألتها عمن جدل لها شعرها وعطره فأجابتها بأنها ممرضة تشفي المرضي . فأرسلت فى طلبها فلما دخلت القصر انظرت نحو تلك الشجرة وأذرفت الدمع .

وما وضعت يدها على جبين الطفل وفمه حتي انفتحت عيناه وابتسمت شفتاه ونقه من المرض بعد ثلاثة أيام . فأصبحت إزيس رئيسة مربيات القصر الملكي لمداواتها للطفل الذى أعجز داؤه نطس الاطباء .

ولقد كان الولد يزداد قوة وصحة يوماً بعد يوم ولكن الخدم

أقلقت بال الملكة بما كانوا يقصونه على مسامعها من غريب أخبار تلك المرأة وعجيب أطوارها .

فقد كانوا يحكون أنهم يسمعون من حجرتها أناشيد محزنة وانهم رأوا أكثر من مرة طائراً صغيراً يخرج من حجرتها أثناء الليل ويحوم حول الشجرة التي بالصالة ويصيح صياح الطير فقد إلفه . وانه أثناء الليل تفج الانوار بتلك الغرفة وتهج وهجاً شديداً يكاد يذهب سناه بالابصار ويتضاءل أمامه ضوء النهار . فخافت الملكة على وحيدها لانه كان ينام ليلا مع إزيس فاختبأت فى احدي الليالى فى غرفة إزيس لترى مبلغ ما تقصه عليها الخدم من الصحة .

مضي الهزيع الاول من الليل ولم تر الملكة ولم تسمع شيئاً فأنبت نفسها على تصديق أكاذيب الخدم وعلى إقلاق راحة نفسها وعلى تجسسها على الغير ولكن بعد منتصف الليل قامت إزيس من مخدعها وحلت شعرها وأخذت الطفل بين يديها وابتدأت تنشد أناشيد مختلفة ما سمعت الملكة نظيرها والولد يقهقه عالياً .

وامتلأت الحجرة بالانوار الساطعة والثعابين المقدسة التي كانت تغدو وتروح فى الحجرة فطار قلب الملكة شعاعا خوفا على فلذة كبدها فتشجعت وصاحت بصوت أجش . من أنت ؟ ! . .

فانطفأت الانوار واختفت الثعابين وانقطع النشيد ووقفت إزيس وسط الغرفة حاملة الطفل نائما وقالت للملكة يا لك من

شقية ! لقد جنيت على طفلك . كنت أحاول أن أجعله إلهاً يعيش الى الابد ولا تمسه الامراض والشرور ولكن ذهب تعبي أدراج الرياح فى آخر لحظة . دونك ابنك أيتها الشقية لم يزل من البشر وتجرى عليه أحكامه من مرض وموت وخلافه . وكان بين كل دقيقة وأخرى تنبعث من الغرفة أنوار شديدة اللمعان .

خرجت الملكة من الغرفة ترتجف خوفا على نفسها ويتصبب من جبينها العرق هلعاً على ولدها وأرسلت تواً الى الملك وأيقظته من نومه وأخبرته الخبر فلما أدركا ان ازيس ماهي إلا إلهة وانها ليست من البشر أرادا أن يتخلصا منها فذهب الملك الى حجرتها واستأذن فى الدخول فأذنت له فقال كلنا شاكر لك ما أوليتينامن نعمة فبفضل عنايتك بوحيدنا قد شفى من مرضه ونريد قبل أن تغادرينا أن تخبرينا عما اذا كان يمكننا أن نقدم لك خدمة .

فقالت ان مابقلبك أكثر مما ذكرته انى أطمئنك على صحة زوجتك وأبشرك بمستقبل ابنك الباهر . سأرحل عنك الآن وإنما أريد هدية واحدة هي تلك الشجرة البديعة المستعملة كعامود فى الصالة الكبرى .

فتردد ملكندر لان تلك الشجرة كانت عزيزة عنده وكانت تزوره الملوك من آن لآخر لاجل رؤيتها ولكنه أراد أن يتخلص من وجود إزيس بقصره فأمر بنزع ذلك العامود فنزع .

أخذت ازيس سكيناً وشقت به الشجرة وما كان أشد دهشة الجميع حينما علموا ان مابداخل ذلك التابوت زوجها أزريس إله الارض الذى مات ضحية كراهة أخيه له وحقده عليه وأمرت بوضع التابوت فى زورق على شاطيء المدينة . أما جزئي الشجرة فقد أرسلا الى معبد المدينة حيث وضعا هناك . ويوم رحيل ازيس ذهب الملك والملكة لتوديعها وقد أبحر بها الزورق بين علامات الاحترام والاجلال .

* * *

بعد أن وصلت ازيس أرض مصر فتحت التابوت في احدى الليالى ووجدت أزريس لم يتغير شكله ولم تذهب بجماله رهبة الموت فحلت شعرها وبدأت تنشد الاناشيد المقدسة وتدعو إله الشمس لمعونتها فى احياء بعلها وما زالت كذلك حتي رجع أزريس الى الحياة وهكذا تغلب الحب الصادق والحق على الباطل « ان الباطل كان زهوقا »

وبينما نحن نعتبر تلك المعتقدات وهذه القصص أضغاث أحلام وحديث خرافة يعتبرها الاوروبيون أقدم فلسفة ظهرت على وجه الارض .

AUC - LIBRARY

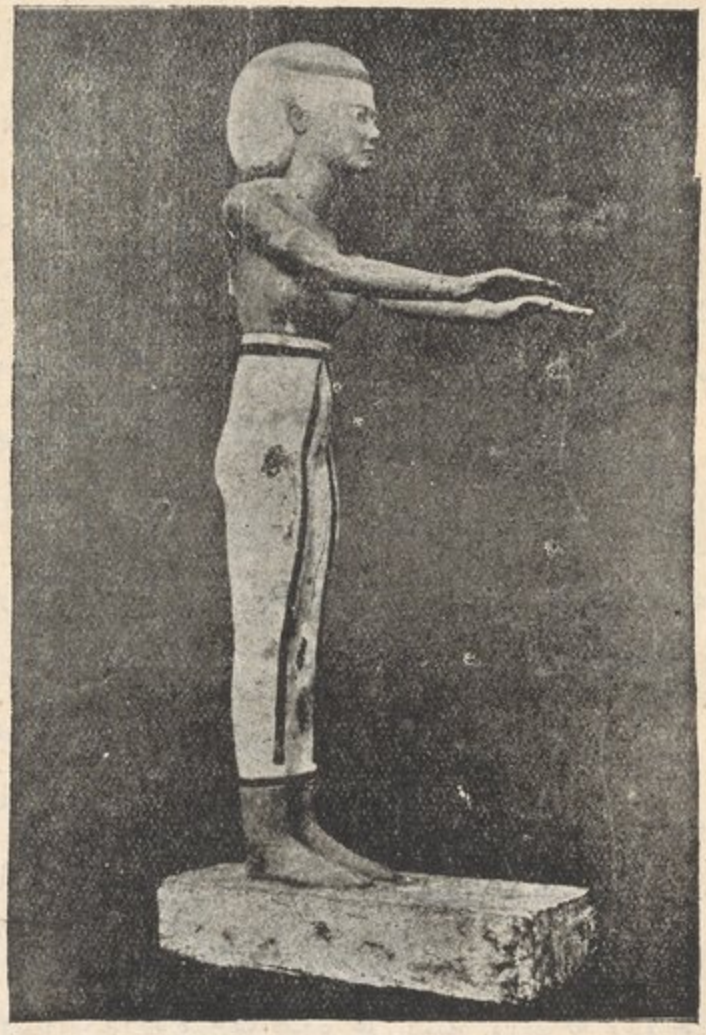

﴿ إزيس تصلى لاجل زوجها ﴾

— ٦ —

الروح . الآلهة . قدماء المصريين

كان قدماء المصريين يعتقدون أن الانسان ينقسم الي جزئين الجسم والروح (كا) وكل منهما منفصل عن الآخر تمام الانفصال حتي أنه ليمكن الانسان أن يأخذ روحه ويضعها في مكان أمين وفى هذه الحالة لا تحس الروح بالمتاعب التي يلاقيها الجسم ولكن سرعان ما يموت الجسم اذا مست الروح بأذى .

وهذا الاعتقاد سائد من الكلتيين الي الصينيين وعلى ذلك يعتبر جزء من الفلسفة العقلية . ولكن يظهر أن هذا الاعتقاد لم يكن سائداً عند جميع المصريين بل كان يعتقد به من اختلط بالاجانب منهم .

ويمكن للروح بعد موت الجسم أن تتكلم وتصف الماضي وتتناقش بل وتلعب مع الاحياء ويمكنها أن تتحمل من العقاب ما لا يمكن حياً أن يتحمله ولكنها لا تأكل مثلا ولا تشتغل فلها حواس ولها ذاكرة ولها قدرة علي التميز والحركة وبالاجمال كل خواص الحي الا العمل .

ولقد كانوا يزينون القبر بالنقوش التى تبين أحوال الميت قبل الموت وكانوا يرسمون الميت فى حفلاته ورحلاته ويرسمون كل شيء

كان له علاقة بالميت وهو حي . كل ذلك لاجل تهيئة مسكن للروح . وكانوا يضعون فى القبر أيضاً ابريق ماء ورغيف خبز كي تستأنس الروح بهما (لم تزل تلك العادة موجودة وشائعة للآن بين القرويين)

أما المأكل والمشرب ولباس الميت فهي لاجل الرحلة التى سيقوم بها بعد الموت الى الدار الآخرة .

ولكي نعرف تماماً كيف كانوا يفهمون الروح ننقل هنا مايقوله المصري القديم لنفسه (اذا أنا حرقت نفسي فذلك يضر الجسم وان أنا غسلت نفسي فذلك ينظف الجسم لكن هناك شيء آخر بالداخل له مثل ذلك الشعور نحو الحرق والغسيل ولكن بدون حدوث أى شيء لمادته . ذلك لابد أن يكون كائناً غير منظور خلاف الجسم وحيث أن له شعوراً وحساً فلابد أن يكون مثل الجسم)

يعني اذا استثنينا اعتقاد البعض فى امكان أخذ الروح وتحنيطها فاعتقادهم في الروح قبل الموت مثل اعتقادنا غير أنهم يختلفون معنا فى أن للروح جسما ولو أنه غير مادى .

أما القوى العاملة فى هذه الحياة الدنيا فثلاث . الآلهة والقدر والانسان . وكل يمكنه أن يعمل مستقلا عن الآخر وبدون احتياج اليه ولكن يمكن للآلهة أو القدر أن تمنع عمل الانسان فمثلا كانوا يعتقدون أن مستقبل الانسان بين يديه وانه متوقف علي غاية ذلك

الانسان وعلي حذقه ومهارته وذلك الى حد محدود حيث يقابله القدر أو تمنع ارادته الآلهة .

أما الآلهة فكثيرة العدد ومتعددة الاجناس فمنها ما هو في شكل أنسان مثل أزريس إله الارض ومنها ما هو في شكل حيوان مثل هاتور معبودة الحب ومنها ما هو فى شكل طائر مثل ثث إله الذكاء والحكمة ومنها ما كان نصفه إنساناً والنصف الآخر حيواناً مثل بان إله الموسيقى ومنها ما كان غريباً عن قدماء المصريين ودخل فى سلك الآلهة باختلاط الاجانب بالمصريين مثل إله الرقص بس .

أما عبادة شجرة الجميز فكانت منتشرة وقلما خلا من احترامها بيت ومنشأ عبادتهم لها هي أنهم كانوا يعتقدون أن أرواح بعض الآلهة تسكنها . أما «جميز الجنوب» فكانوا يطلقون عليه اسم « جسم هاتور ا-ي » وكانوا يقدمون العطايا للشجرة ترضية للروح المتقمصة فيها فكان الفلاح يذهب محاطاً بأباريق المياه الي الشجرة ويركع أمامها ثم يسكب المياه .

أما أرواح الآلهة التى كانت تسكن شجرة الجميز (ولم يكن يسكنها من الآلهة الا المؤنث) فهي هاتور ، نوث ، سلك وغيرها ومن هذا يظهر أنها لا تنتمي الي إلهة واحدة مخصوصة بل هي مسكن للروح اللاجئة اليها ليس إلا .

ولم نر في معتقداتهم شيئاً عن الاسماك الا التمساح فانهم كانوا

يعتقدون أنه وزير النقمة والثأر . ولقد كانوا يذبحون سنوياً كبشاً ويسلخونه ويغطون بفرائه تمثال آمن بطيبة .

ولما كانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً بمواصلة الحياة بعد الموت كانوا لا يجزعون كثيراً من الموت ويعتقدون أن الانسان لا يخسر شيئاً اذا هو انتقل من هذا العالم الي الآخر

ولم يعلم لغاية الآن السبب في رمزهم لآلهة الزراعة رننت بثعبان .

ولقد كانوا يعتقدون أن الحيوانات لا تقل عنهم فى عبادة الآلهة يدلنا علي ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن هناك نوعا من القردة لها وجوه يعلوها الوقار والفطنة وان لها نشاطا غريبا حتي انها تقوم كل صباح عند شروق الشمس كي تعبد إله الشمس رع . أما هكت فانها الهة الولادة ومسخنت فانها الهة التسمية التي يمكنها أن تتنبأ بمستقبل الطفل .

ولما عمل ملوك الاسرة الخامسة علي احترام رع وزادوا فى نفوذ كهانه اعتقد الناس ان هؤلاء الملوك من نسله لذلك كانوا يسمونهم أولاد رع . ورع هذا كانت له السلطة علي الآلهة الاخري فهم يأتمرون بأمره حتي الاله خنومو الذي كان يعمل الانسان من الطين ويشكله علي عجلته (فهو فى عمله يشبه الخزاف)

ولقد كانوا يعتقدون بوجود جماعة مكونة من تسعة آلهة كانت

تمشي صحبة علي الارض لتري مايحصل علي ظهرها وكان علي رأس هـذه الطائفة المعبود رع هاراختي ومن ضمنهم الاله خنومو الآنف الذكر .

ولم يعبد الناس هذه الآلهة فى كل العصور بل كان منها ماعبدوه وتركوه ومنها مالم يعبدوه فى العصور الاولي فعبدوه بعـدها حتي انهم في أيام الاغريق والرومان كادوا ينسون كل الآلهة ولم يعبدوا بحق الا هورس إله الخير وأمه ازيس .

ويرجع تمسـك قدماء المصريين بالاعمال الطيبة وحبهم لمن يحق الحق ويزهق الباطل الي أنهم كانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً قويا بان الانسان اذا عمل أعمالا حسنة فانه سوف يجازى عليها وان الله يساعده أيضا لقيامه بتلك الاعمال ويدلنا علي ذلك أن ازيس هي وابنها هورس لما سجنهما ست إله الشر وقتل أزريس زوجها وقطعه اربا اربا استنجدت بالآلهة فأرسـل لها رع ثث إله الذكاء والحـكمة كي يخرجها من سجنها وفعلا خلصها من السجن بل وزيادة علي ذلك أرسـل معها سبع عقارب لتمنع عنها الاذى ولتدلها علي المكان الموجود به جسم زوجها وان الآلهة ساعدتها بعد ذلك في رد ازريس زوجها حياً وانها (أي الآلهـة) أرسلت لهورس قوة إلهية ساعدته علي قتل خصمه ست

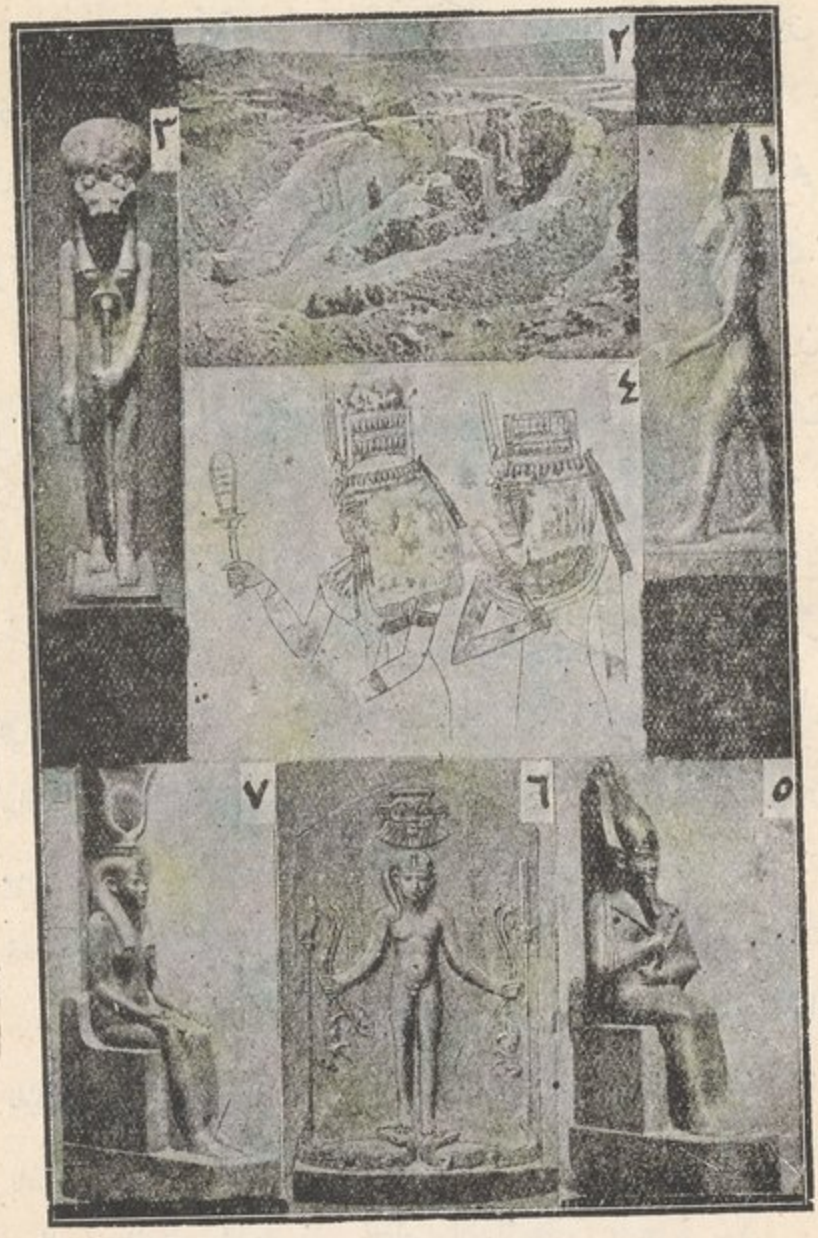

(١) ~~تمك~~ إيسيس (٢) سفينة رع (٣) ~~مسخنت~~ نخبت (٤) قسيستان

(٥) أزريس (٦) هورس (٧) ازيس

وقبل أن نختم هذا البحث نذكر شيئا عن قدماء المصريين أنفسهم .

كان قدماء المصريين ينقسمون الي طبقات حسب مراكزهم وأعمالهم ولا يمكن أحداً أن ينتقل من طبقة لاخري الا باذن الملك.

فالطبقة الاولى هو الملك وكان الرأس الكبيرة فى القانون والحرب والدين فارادته هي القانون ولا يمكن لكائن من كان أن ينافس أوامره فهو ممثل الله في الارض لا بل هو من أحفاد رع نفسه .

ولما كان الملك حفيد رع كان حينما يولد أمير من البيت المالك كان يدخل جزء من الروح المقدسة البيت ولكن دخولها لا يؤثر في المولود أى تأثير بل يبقى كما هو رجلا عاديا . ولكن سرعان ماتظهر الروح قدرتها حينما يرتقى الامير العرش حتي انه ليرفع من منزلة الرجل العادى الي صفوف الآلهة ويوضع تمثاله في المعابد بين تماثيل الآلهة بعد موته .

ولم يكن الناس يذكرون الملك بأحد أسمائه العديدة أو ألقابه الفخمة بل كانوا يدعونه بأسماء عامة مثل فرعون وهذا اللفظ معناه بالهيروغليفية « المنزل الكبير التي تسكن فيه كل الناس » أو « الرجل العظيم الذي يهب الناس الحياة »

ولم يكن الملك منهمكا فى لذاته وشهواته كما يتوهم البعض من

أن ملوك ذلك الزمان البالى كانوا لا يعرفون الا القيام بأعباء الملاذ. بل كان الملك منهمكا فى العمل فحينما يكون فى الحرب يقود الجيش وحينما يكون فى السلم يحيي المواسم الدينية ويعمل علي نشر العدالة واستتباب الامن. واذا كان يوجد له بعد ذلك وقت قصير من الفراغ فانه يقضيه فى أعمال الفروسية والصيد.

وتلي الملك في مرتبته الملكة ويلي الملكة أمراء البيت المالك وكانوا يشغلون وظائف قواد الجيش وضباطه أو وظائف كهنة أوحكام مديريات. وكانوا يقلدون الملك فى جميع ما يتعلق بشئونهم وأحوال معيشتهم.

بعد هذه الطبقة توجد طبقة الاشراف والمحاربين الذين كانوا يقطعون القطائع معفاة من جميع الضرائب جزاء خدمتهم العسكرية

وتوازى هذه الطبقة تماماً طبقة الكهنة ولو أنها كانت أقوى منها وأعز شأناً لانهم كانوا علماء الدولة فلم يكن أحد سواهم يعرف الواجبات المقدسة التي يفرضها الدين ولا أحد — الا الملك — يمكنه أن يتجاسر ويقف فى سبيل كلمة الكاهن الاكبر والا فانه ينزل عليه سخط الآلهة وغضبهم.

ولقد كان فى يد الكاهن كل الكتب ليست المختصة بالدين فقط بل التي تتعلق بتاريخ الدولة أيضاً.

أما الطبقات الاخرى فهي طبقة الصناع فالفلاحون فالرعاة .
أما الصناع فقد كانوا يؤلفون النقابات حسب طرائقهم وكان رئيس النقابة هو الذي يرفع مطالبهم الى حاشية الملك .

أما الفلاحون فكانوا بؤساء بمعني الكلمة فقد كانوا — فوق شغلهم المرهق — يرزحون تحت عبء ثقيل من الضرائب الفادحة .

فقد كان يستيقظ الرجل منهم فى الصباح مبكراً وينام في أخريات الليل وكان يعدها نعمة اذا بقى له — بعد أن تأخذ الحكومة ضرائبها — ما يكفيه قوتاً ضرورياً .

ولكنه لم يكن يشعر أنه مغبون بل كان يعد نفسه سعيداً . وكان بعد أن يفرغ من عمله يذهب ليزور أصدقائه وليتكلم معهم ضاحكا عما حصل له أثناء النهار .

ولم يكن يحزنه ولا يذهب بسعادته الا الظلم ولكنه كان يجد له دواء في الذهاب الي حاشية الملك أو الي الملك نفسه — اذا اقتضت الظروف لعرض شكايته .

وكانت بيوت الصناع و الفلاحين تبني غالباً من الطوب النيء والطين أو من الآجر المجفف فى الشمس كما نرى في قرانا اليوم . وكان المنزل يتكون عادة من حجرة واحدة فسيحة . أما اذا كان الصانع أو الفلاح غنياً نوعاً فمن أربع أو خمس وكان الاثاث بسيطاً اية . مائدة خشبية ساذجة وبضع أحجار ملساء تستعمل كمقاعد .

أما الاشراف والاعيان فكانوا علي النقيض من ذلك فى نعيم مقيم فكانت بيوتهم تبني من الحجر المتقن النحت وكانت تحاط بالحدائق الكبيرة الغناء التي كانوا يغرسون بها أحسن الازهار والمزودة بالنافورات الفخمة .

وبالاجمال فكل شيء كان طوع ارادتهم ورهن مشيئتهم ولم تكن تلك المعيشة المبنية على الترف والاسراف لتمنعهم من النظر في الشئون العامة وانما كانوا هم الممثلين الحقيقيين للحياة المصرية المحضة . تلك الحياة التي رفعتهم الى الطبقة العليا بين الممالك المعاصرة والتي جعلتهم موضع دهشة الممالك الحديثة .

ولم يقتصروا في كتاباتهم ومحادثاتهم علي لغة واحدة بل كانت لهم ثلاث لغات هيروغليفية وهيراطيقية وديموطيقية .

أما لفظة هيروغليف فمعناها « الكتابة المقدسة التى تنقش علي الحجر » وهي تتكون من صور الانسان والحيوان والنبات كل يدل علي معني خاص ولقد كان يستعملها المهندسون فى الكتابة علي التماثيل تحت اشراف القسيسين .

ولما كانت تلك الطريقة عقيمة وتحتاج الي كثير من الوقت اخترعت طريقة غيرها أسهل منها وأسرع تلك هي الكتابة التى كانت

تستعملها الكهنة في كتاباتهم وعلي ذلك سميت الهيراطيقية أي كتابة الكهنة .

أما الكتابة الديموطيقية فهي أسرع وأسهل فكانت لغة الجمهور.

حقاً لقد صدق من قال

فى كل يوم آية لرقيهم تبدو وكم ظهرت لهم آيات

القسم الثاني

الآداب

— ١ —

الآداب الشخصية

لست أقصد بلفظ «آداب» آداب لغاتهم ولا ماصنفه شعراؤهم وأدباؤهم — وان كانت ستأتى عفواً في سياق الكلام — بل أقصد أخلاقهم وطباعهم وما خلفه لهم دينهم وما ورثوه عن آبائهم وما نتج من اختلاطهم بالاجانب من اعتقاد فائدة بعض الصفات ووجوب الاستمساك بها وقبح البعض الآخر وضرورة التنحي عنه .

ولقد يتوهم بعض الناس أن قدماء المصريين لم تكن لهم آداب تذكر وان كانت لهم آداب فهي أدنى من آدابهم ولكن ظهر أخيراً ان المصريين القدماء كانت لهم آداب أرقي من آداب الامم القديمة المتحضرة التي تضرب بآدابها الامثال . فقد بزت آدابهم الآداب الاغريقية إبان عظمتها وضارعت الآداب الرومانية أيام كانت فى أوج عزها حتي بعد أن هذبتها (أي الآداب الرومانية) المسيحية .

فقوة الارادة وتجنب الثرثرة والتواضع والبعد عن الكذب والنشاط والقناعة وعدم المشاغبة كل هذه واجبات يفرضها دينهم

عليهم وكان حقا عليهم أن يستمسكوا بها طمعاً في رحمة الآلهة ورضوانهم .

وكان على الروح بعد الموت أن تقول فى جملة ما تقوله فى قاعة المحاكمة كي تظفر بالجنة « لم أكن ضعيفاً » و « لم أعرف الكبر » و « لم أكن مشاغباً » وهلم جرا .

ولما كانت تلك الصفات مما تشرف صاحبها وتحمل الناس علي احترامه ساعد الحكماء الدين في حث الناس على التمسك بها والتعلق باهدابها والحرص عليها .

قال الحكيم « آنى » محرض الناس علي نبذ اليأس والاستسلام « لا تدع اليأس يتطرق الي قلبك بل اجتهد في ادخال السرور الي قلبك وقت الكدر » وهو القائل أيضاً « اذا سرت في الطريق المستقيم فستبلغ الغرض » وقال « انظر جيداً الى نفسك تجد مركزك — مادمت في هذه الدنيا — عرضة للتقلب فسر الي الامام رأساً وأنت تصيب الهدف »

أما الثرثرة فقد كان حكم بعض حكمائهم عليها متطرفاً جداً ولقد قيل « لا تنقل الاخبار سواء في ذلك أخبارك وأخبار الناس » كل ذلك كرهاً في الثرثرة وهروباً منها . ولم يذهب كل الحكماء هذا المذهب من التطرف بل منهم من كان معتدلا فى حكمه مثل بتاح حتب حيث يقول « ليكن قلبك مفعما بما تحب ولكن لا تدع

﴿ بتاح حتب ﴾

لسانك يشقشق بكل ما يريد ولتعرف كيف تتطبع أمام الاشراف وكيف تعامل أستاذك حتى يقول (كان والد هذا الرجل يستحق الثناء كما أن ابنه سيكون مسموع الكلمة) وزن الكلام أيضاً قبل أن تتكلم حتى لا تنطق عن هوى وحتى يقول الاعيان الذين يستمعون لك « ما أجمل ما نطق به هذا الرجل » . وان الانسان لا يستنتج من هذا الكلام الحض على نبذ الثرثرة فحسب بل يستنتج منه أيضاً معني عدم التلفظ بالقبيح وعدم النطق بما يجرح احساس الغير .

أما آنى فقد قال « فتش عن الصمت واستعمله » وقال يريد التدليل علي عدم لزوم الثرثرة « لندع الموظف يتكلم عن أشغاله والمرأة تتكلم عن زوجها وكلا يتكلم عما يخصه . ولكن عم تتكلم أنت يومياً ؟ » وهو الذى قال أيضاً « اذا سألك سائل فليكن جوابك قدر سؤاله وما دام الصمت جميلا فلا تكن ثرثاراً » .

ولم يكن الكبر بأسعد حالا من الثرثرة فقد كان أيضاً من الصفات المكروهة عندهم والمطلوب منهم أن يبتعدوا عنها .

قال كاجمنى « لاتسمح للكبر بالتسلط على قلبك، لانك تفوق لداتك بسالة واقداماً بل احترس من المجازفة بما لا تقدر على حمله لانك لا تعلم ما الذي سيصيبك غداً ولا تدري ما الله صانع بعد اصابتك » .

وقال بتاح حتب « لا تمش الخيلاء بين الناس من أجل علمك بل حادث الجاهل كما تحادث العالم لان حدود المهارة لن تبلغ وأن ليس من ماهر قد زود تماماً بما ينفعه كما أن الكلام الطيب مخبوء وهو أثمن من الجواهر الثمينة التى تجد في البحث عنها أنثى العبيد بين الرمال » .

ولقد كان الرجل الجاهل مكروهاً منهم ومنبوذاً قال بتاح حتب « حقاً ان الرجل الجاهل الذي لا يصغي للنصيحة لا يمكنك اصلاحه فهو يري العلم كالجهل والنفع كالضر وهو يرتكب كل أنواع الخطأ كي يوبخ كل يوم فحياته كموته بل هو ميت الاحياء . فيجب عليك أن تتحاشي العمل مع هذا الرجل اكراماً لحظه العاثر »

ولقد قيل « لا تصاحب غبياً ولا تصغ لكلماته » وقال آنى محرضاً الناس على نبذ صحبة الرجل الكثير الخطأ « اياك والتلفظ بالكلمات الجارحة واعلم أنه واجب عليك أن تحكم بالاعدام على الحقد والهذر الذى في صدرك واطرح جانباً الرجل الكثير الخطأ ولا تتخذه رفيقاً »

وقال كاجمي يمدح الحذر والمواظبة والصمت ويعرض بالرجل الخاطيء « ان الرجل الحذر ينجح دائما كما أن الرجل المواظب ممدوح أما الرجل الصامت فان الابواب المغلقة تنفتح له والمقتصد في كلامه هو البالغ أمله أما الذى يلج الطريق خاطئاً ويستمر في خطئه فستقام في وجهه المدي »

ويظهر أنهم كانوا لا يؤمنون — مثل أغلب الناس حديثاً وقديماً — بوجود « الخل الوفي » قال أمنمهات « احتفظ بقلبك لنفسك فلن تجد لك صديقاً يوم البلاء »

وقال آنى مريداً البرهنة علي أن الانسان في هذه الحياة عرضة للزوال كما أن مركزه عرضة للتقلب قال « لقد غيرت الانهر مجراها وستسير على تلك السنة في المستقبل كما أن الغدير العظيم يجف وتستحيل شواطئه الى شقوق متسعة فهل لن يأتي للانسان ما هو شبيه بذلك ؟ ! . . ذلك سؤال مهذبة الحياة » .

ولننتقل بعد ذلك الي الخمر نجد آني يقول « لا تقرب سكيراً ولو كان في قربك منه ما ينيلك الشرف » وفى هذا ما يكفى للبرهنة على أنهم كانوا شديدى البغض للخمر .

وأما قول بعضهم « تمتع بحب النساء وما دامت لك الرغبة في الاكل والسكر فلتكن أكالا سكيراً » فقد يكون ذلك من قبيل التغزل في الخمر كما نرى بعض شعرائنا وأدبائنا الآن وغير الآن

ومنهم كثير من أكبر المتمدينين — يصنعون (والله أعلم)

وكذلك نرى العازف على العود يقول « اشبع قلبك ما دمت حياً ومتع نفسك بدون حساب ولا تدع قلبك متعباً بل اتبع شهواتك مادمت على الارض » في حين أن بتاح حتب يقول « ان من يحسب طول يومه لن يجد له لحظة من الراحة ومن يلعب طول يومه لن يعمل لبيته فرامي السهم يصيب غرضه ، ومن يدير السفينة ينجح ، بواسطة الجذب مرة والارخاء أخرى »

وهو القائل أيضاً فى المعني السابق « اشبع قلبك وقت الفراغ ولا تقلل وقت مطاوعتك له لان ذلك رجس ترتكبه ضد الروح فلا تضيع كل النهار كي تزود بيتك بحاجياته بل اعمل لبيتك ثم اشبع قلبك لان حاجياتك لن ترجو منها النفع الكامل اذا كان قلبك متعباً » والمتأمل قليلا فى هذين الحكمتين يرى أنهما لا ينقصان بأى حال من الاحوال عن نصائح أي حكيم حالي من جهة سمو المعني وشرف القصد وحسن التشبيه ولطف التمثيل .

تلك بعض واجبات المصرى القديم نحو نفسه وآدابه المسئول عنها أمام ضميره والناس فى الدنيا وأمام الآلهة فى الآخرة والتي يجب عليه أن يعمل جهده كي يستمسك بها ويتعلق باهدابها فهل يوجد الآن انسان كملت فيه هذه الاوصاف ؟ ! ..

— ٢ —

الآداب العائلية

تنقسم الآداب العائلية الي ثلاثة أقسام الآداب الزوجية وآداب الانسان نحو أمه وأبيه وواجباته نحو ابنه .

أما الآداب الزوجية فقد كان مركز المرأة فى مصر إذ ذاك يشابه مركز المرأة الغربية الحالية من جملة وجوه . ويدلنا علي عظم مركزها قديماً أن بعضهن قد ولين العرش وحكمن البلاد .

ولم يغير من ذلك المركز لا نظام الكنيسة الرومانية القاسي ولا سطوة الاسلام قال المقريزى ان القبطي لم يكن يبيع شيئاً الا ويقول « باذن زوجتي » .

ولم يزل مركز المرأة الي الآن عظيما فى الارياف فهي عماد البيت لا بل هي التي تساعد زوجها فى الاعمال الزراعية والتجارية فضلا عن إدارتها لبيتها .

وكانت المرأة هي صاحبة البيت وربته أما الرجل فكان أشبه بزائر أو نزيل بالاجرة يؤدى واجب الاقامة قال آني « لا تعامل امرأة في بيتها بغلظة اذا كنت تعرفها تماماً ولا تقل لها (أين ذلك الشيء ؟ أحضريه !) حينما يكون موضوعاً فى موضعه ورأيته بعينك لانه من المفرح ليدك أن تعمل بجوار يدها . وانه ليوجد كثيرون

لا يعرفون كيف يمكن الانسان ان يجلب المصائب لبيت المرأة ولا كيف يمكنه أن يعرف طباعها في جميع الاحوال ولكن الرجل القوى القلب يمكنه أن يكون سيد بيتها بسرعة »

ولقد كانت اتفاقات الزوجية فى عصر البطالسة تجعل جميع أمتعة الرجل ملكا حلالا للمرأة .

ولقد كان حكماؤهم يوصون دائما بعدم استعباد المرأة ويحثون الرجل علي تكريمها قال بتاح حتب « اذا كنت موفقاً وجهزت منزلك بالاثاث وأصبت المرأة التي من صدرك ! (ولعله يقصد من طبقتك أو من عائلتك) فاملأ معدتها واكس ظهرها واعلم أن دواء جسمها الزيت ! واجعل قلبها دائما فرحا فى الوقت الذى تستطيع ذلك لانها حقل نافع لمالكه » ولقد قيل فى زمن البطالسة لا تسمح بمعاملة زوجتك التي هي أضعف منك بسوء ولكن دعها تجد فيك حامياً لها »

ولم يقتصروا على ذلك بل كانوا يغرون الناس بمعاملة المرأة الفاجرة باللين قال بتاح حتب « اذا امكنك جعل المرأة الفاجرة تخجل فلتكن بها رحيما مدة فصل ودعها تجد طعاماً لتأكل ومن ثم تجد فجورها قد سلك سبيلا معبداً »

وبقدر ما كانوا ينصحون للناس بمعاملة زوجاتهم باللطف كانوا يحذرونهم من التقرب من النساء قال بتاح حتب « اذا أردت أن

تطيل أمد الصداقة فى منزلك الذى تتمتع فيه كسيد وأخ وصديق فاياك والتقرب من النساء لانك اذا تقربت منهن فان أمد سيادتك واخوتك وصداقتك سوف لا يطول »

وقال آتى فى ذلك المعني « لا تتبع امرأة ولا تسمح لها باحتلال قلبك » وقال أيضاً « امكث بعيداً عن المرأة الغريبة المجهولة فى قريتها ولا تنظر اليها حين تمشي ولا تتعرف بها لانها وحش بحرى هائل في ماء عميق واعلم أن المرأة الغائب زوجها تكتب اليك يومياً حتى اذا لم يكن هناك أحد يراها نصبت شركها وأوقعت من يصغي اليها فى خطيئة تلازمه حتى الموت ولو لم تكن فى الحقيقة قد أتمت خطتها . الرجل يرتكب كل الجرائم لهذا وحده »

واذا نظرنا الى تلك الاشياء من وجهتها الدينية رأيناهم فى الازمنة الاولي كانوا يعتقدون أن على الانسان أن يعترف فى قاعة المحاكمة بعد الموت بشيء واحد وهو « لم أرتكب عهارة أو فساداً فيما هو مقدس وتابع لآلهة مدينتى » ولكن بعد ذلك أصبح ذلك الغرض ثلاثة أغراض فكان علي الروح أن تقول « لم أرتكب زنى مع امرأة رجل آخر » و « لم أرتكب نجساً » وأخيراً « لم إعط شهوة غير طبيعية » يعني لم يستمن :

أما الواجبات الابوية والبنوية فلم يوفوها حقها من الكتابة اذا نظرنا لما قد كتبوه في الآداب الزوجية ولم نر قط أى اعتراف

يقال عن هذين الواجبين في قاعة المحاكمة الامر الذى يجعلنا نقول ان الانسان لم تكن له واجبات نحو والديه زيادة عن آدابه نحو أى شخص آخر .

قال كاجمني « ان الرجل المجرد من الظرف هو الذى يعامل أمه وعشيرته بفظاظة »

ويظهر أن كل ما كان يجب علي الابن نحو أبيه وأمه هو إمداد قبرهما بالهدايا من وقت الي آخر قال آني « امنح الماء لابيك وأمك وهما مستريحان بالوادى (وادى الموتى) وانظر الي الماء وامنحهما الاشياء المقدسة التي يقال أنها مقبولة ولا تنسي ذلك حينما تكون بعيداً لانك ان فعلت ذلك فسوف يعمل ابنك مثل ماعملته انت »

وقال بتاح حتب يحث الابن علي سماع كلام أبيه « اذا سمع الانسان ما يقوله والده فلن يفشل له أي مشروع والرجل الذى تهذبه كابنك أو السامع ذو الحظوة في قلوب الاشراف سوف يتعود فمه حسب ما أخبر فمن يدخل (الحياة) بدون سمع (يعني بدون النصيحة) يفشل ومن يتعلم فانه يسمو فى اليوم الثاني أما الجاهل فسوف يسحق « . وكانت كل تعاليمهم تحث الابناء علي سماع كلام آبائهم وعلي تشبههم بهم قولا وفعلا وتعلما .

وقد كان من المستحب لديهم أن يتزوج الانسان صغيراً كي يرزق ولداً وكانوا يعتبرون ذلك المولود رمز الشرف والطهارة

لوالده قال آنى « اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير لاجل أن تعطيك ابناً فاذا كان لك ابن وأنت صغير فهذا دليل علي أنك رجل طيب الاعمال . رجل سوف يمدحك الكثيرون لاجل ابنك خاصة » وقال بتاح حتب « اذا كنت ناجحاً ورزقت ولداً بواسطة كرم الآلهة فسر ثانية فى طريقك والتفت لاشغالك فى كل فرصة مناسبة واعمل له كل شيء طيب لانه ابنك الذى ولدته روحك ولا تنفر قلبك منه »

وكانوا أيضاً ينصحون الآباء بمعاملة أبنائهم بالحسني وعدم تفضيل أحد الاولاد علي الآخرين ولقد قيل « لا تتسبب في جعل ابنك يقاسي اذا كان ضعيفاً بل ساعده » وقيل « لا تهجر ابناً لانك تحب الآخر لشجاعته وقوته » وقيل أيضاً « لاتسمح لابنك بالتعرف بامرأة متزوجة » وفي هذا منتهي الاعجاب .

— ٣ —

الآداب العامة

كان المصري القديم يعتقد أن الانسان لا يمكنه أن يظفر بالجنة الا اذا لم يقتل أحداً ولم يحرض علي قتل ولقد قيل « لاتقتل نفساً كي تسلم نفسك »

وكان عليهم ألا يسرقوا وألا يخسروا الميزان وألا يعتدوا علي أراضي الغير وألا يقف أحدهم الماء كي لا يذهب الي جاره . فاذا ارتكب أحد منهم شيئاً من هذه المحرمات حرم من دخوله الجنة .

وكان البر بالفقراء إحدى سجاياهم ولقد قيل « اعط الخبز لمن لا يملك أرضاً » وقال بتاح حتب يريد أن يصرف الناس عن ايذاء بعضهم ويذكرهم بان الله سوف ينتقم منهم بالمثل « لا تتسبب فى توليد الرعب بين الناس لان الله يعاقب بالمثل فلا تدع العنف ينجح » وقال « اذا حدث أن رجلا مشاغباً كان متلافا فلا تعامله بالمثل حينما يحضر اليك »

وكانوا يعدون تضيع الصديق خطأ كبيراً وكذلك اتلاف أخلاق الصديق قال آني « اذا طهر الصديق أعماله من المساوىء فان أعماله تكون نافعة وتكون أنت آمناً لعدم فقده فعلى ذلك

احترس من تضييع أى صداقة » وقال « لا تفسد قلب مصاحبك اذا كان منزهاً »

وقال بتاح حتب يريد أن يدل الناس علي أحسن الطرق التى يمكنهم بها أن يختبروا أخلاق الصديق لانه كان يعتقد أن السؤال عنه غير كاف « اذا أردت أن تبحث عن أخلاق صديق فلا تسأل عنها بل اذهب واجلس معه علي انفراد بحيث لا تتدخل فى أعماله . ناقشه بعد فصل واختبر قلبه بنوع (قاس) من الكلام »

وكانوا يكرهون الكبر كما قدمنا ولقد قيل في زمن البطالسة « لا تتخذ الكبر لك حالة » وكانوا ينصحون الناس بحبس قابليتهم للاكل حينما يأكلون عند غيرهم قال كاجمنى « اذا جلست لتأكل مع جماعة فاكره الخبز الذي تشتهيه لانه شيء تافه واحجز قابليتك للاكل لان الشره صفة دنيئة ولان الرجل الخسيس هو الذى تتسلط عليه بطنه والذى يمضي الوقت بلا تفكير والذى يطوف المنازل لاجل الطعام . ولكن لا تخف من الاكل اذا كنت تأكل مع شره ولتأخذ ما يعطيه لك ولا ترفضه لانه يظن أن ذلك — أخذك ما يعطيه لك — ينيله الشرف « .

أما آدابهم نحو مرءوسيهم فقد كانوا لا يسمحون لانفسهم بمعاملة من هو أقل منهم بسوء ولقد قيل « لا تسل نفسك باللعب علي من يعتمدون عليك » .

وكانوا يعتقدون أن علي الروح أن تقول بعد الموت فى قاعة المحاكمة « لم أظلم من هو دونى » و « لم أتسبب فى معاملة ناظر لعبد بسوء » و « لم أجعل رجلا يعمل زيادة عن مقرره اليومي » وقال الحكيم أنتف يفتخر « أنا رجل ممن يستمعون للقوى وللجاهل وذلك رغبة فى محو شهوة الظلم »

ويظهر أن الكرم كان من الصفات المستحبة لديهم فقد قيل « لا تأكل خبزاً أمام آخر واقفاً بدون أن تمد يدك اليه »

وكان للمعلم عندهم مكان محفوظ ومنزلة سامية جليلة يدلنا علي ذلك قولهم « لا تلعن أستاذك أمام الله » وقولهم « لا تتكلم ضد معلمك »

وكان الرجل المسن عندهم محترماً حتي ولو لم يكن ذا منزلة سامية فقد قالوا « لا تجلس حينما يكون أسن منك واقفاً حتي ولو كنت أعظم منه مركزاً » .

وقال حتب ينصح المرءوسين حينما يكون رئيسهم مغضباً « لا تجاوب رئيسك إبان غضبه بل انتظر جانباً وكلمه بلطف حينما يكون غضبانا فهذا هو الدواء الذى يهديء قلبه » وقال أيضاً « احن ظهرك لرئيسك — رئيس بيت الملك الذى يعتمد بيتك علي خاصياته — وادفع أقساطك فى ميعادها المحدد واعلم أنه من السيء أن تكون علي خلاف مع رئيسك لان الانسان يعيش حينما يكون رحيما » .

وقال يبين حدود الادب التي يجب علي الصغير من الناس اتباعها فى حضرة الاشراف « اذا كنت ممن يجلسون فى منزل رجل كبير فخذ مايعطيكه وسترى ماهو أمامك فلا تخترقه بالنظرات الكثيرة ولا تتكلم الا اذا دعاك (للكلام) لانك لا تعلم الحزن الذى فى قلبه (يقصد لا تعلم اذا كان حزيناً امﻻ) بل كلمه حينما يستجوبك فيكون كلامك حسن الوقع فى القلب »

وكانوا يكنون دائما بالخبز عن الغني فتراهم يقولون الغني الذى يملك خبزاً كثيراً واذا كنت تأكل خبزاً واعط الآلهة خبزاً ومن ذلك قول بتاح حتب « ان الشريف الذى يملك خبزاً كثيراً يعمل كما تأمره روحه فهو يعطي لمن يمدحه وانه ليحصل ان روحه هي التي تفتح يده (بالعطاء) واعلم ان اكل الخبز من تدبير الله فالجاهل هو الذي يثور ضده » يقصد بروحه طبيعته وسليقته اى ان طبيعة حب الثناء هي التي تجعله يعطي .

ولقد حاولوا ان يسطروا آداب المراسلة فجاءت حكمة بليغة وعظة نافعة تحتوي الشيء الكثير من الفوائد علي قلة كلماتها فقد قيل « اذا ارسلك شريف الي شريف فلتكن مثل مرسلك فى الخلق وانجز مأموريته كما قال لك تماماً واحترس من بذر بذور الكراهة بينهما فتجعل شريفاً ضد آخر واعلم ان كلام اي انسان

آخر لا يمكنه ان يغسل القلب (قلب الشريف مما قلته) سواء كان شريفاً او عادياً »

وكان الكبير كبيراً حياً كان ام ميتاً يدلنا على ذلك قولهم « لا تبن قبرك فوق قبر من حكمك »

لننتقل بعد ذلك الى آدابهم نحو الآلهة فنري ان على الروح أن تعترف فى قاعة المحاكمة بعد الموت بانها لم تقطع حواسة المعبد ولم تقلل هبات الآلهة ولم تسرق متاعها ولم تذبح حيواناً مقدساً . ولقد قيل « لا تبن قبرك بجوار المعابد »

وكان للآلهة كل سنة عيد على الناس ان يحيوه وكان اهمال ذلك العيد يثير غضب الآلهة قال آنى « اعمل عيد إلهك وحرره فى فصله لان اهماله يغضب الآلهة وانخذ لك شاهداً أول مرة قدمت فيها عطيتك »

وكان نتيجة لاحياء مراسيم الآلهة كل سنة انهم كانوا يكرهون التوسع فيها لئلا يعجزوا عن اعادتها فى السنة التالية وايضاً خشية الاطلاع على اسرار الآلهة ! حتى لقد قيل « لا تكثر اوامر الله واحترس من التوسع فى ضرعته كي لا ترى خططه بعينيك ! واطلب من نفسك ان تقدس اسمه لانه هو الذى يعطي الروح ملايين الاشكال وانه يعظم من يعظمونه . وحينما يعط الانسان الآلهة بخوراً كل يوم بواسطة العيش (لعله يقصد ان العيش الذي

Fridays Frankincense before alter prayer

Frankincense in Mosks

يهبه الانسان للمعبد يوازي البخور أو يقوم مقامه) فانه يسعد هذا الانسان بواسطة انماء زرعه . فلنكثر إذن الخبز لاجل الآلهة »

وكانوا ايضاً يعتقدون ان الانسان ملك للآلهة ويظهر ذلك من قول آنى « إعط نفسك للاله واحرس نفسك كل يوم لاجل الاله واعمل غداً ماعملته اليوم وضح لان الله ينظر للمضحي ولكنه يهمل من يهمله » وقال « ان من يعظم روحه بالمدح (مدح الآلهة) والعبادة والاجتهاد فى عمله حتى ان العبادة تكون ممزوجة بأشغاله . من يعمل ذلك فان الاله سوف يعظم اسمه »[1]

ولقد كان من الممقوت احداث الضوضاء بالمعبد فآنى يقول « ان الشيء المكروه فى المعابد هي الاعياد الممزوجة بالجلبة ولكنك اذا توسلت الي الله بقلب مخلص جميع كلامه سري (يعنى بدون ان تلفظ بلسانك) فانه ينجز حاجاتك ويسمع كلماتك ويقبل هدياتك ».

والحمد لله اولا واخيراً

(المصادر التي استقيت منها هذه الرسالة)

النسخة المدرسية المختصرة

1 Egyptian Gods & Heroes

2 Religion And Conscience in Ancient Egypt by W. M. Flinders Petrie

3 Art in Egypt by G. Maspero.

تصحيح خطأ

وقع فى صحيفة ٥٧ تحت الصورة غلطتان

فبدل ثث « إيبيس » وبدل مسخنت « سخت »

DATE DUE

NOV 1974

DT
61
M87x
1925

18 MAY 1987

DT
61
M87x
1925